AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01213 5145

PJ
7864
A35
M66

نفوس للبيع

أو مرآة الضمير الحديث

لعميد الادب العربي

الدكتور طه حسين

حقوق الطبع محفوظة

٨ شارع ضريح سعد بالقاهرة

رسائل تنسب الى الجاحظ وأراها
محمولة عليه ، لأن تكلف التقليد
فيها ظاهر .

طه حسين

أقبل على صاحبى مبتهجا باسم الثغر مشرق الوجه والنفس جميعا يقول : لقد جئتك بطرفة ما أشك فى أنك ستنعم بها بالا ، وسترضى عنها كل الرضى ، وستؤثرها على كثير من الطيبات فى هذه الايام التى تقل فيها «الطيبات» . قلت : وما ذاك ؟ قال : كتاب مخطوط لم تعرفه المطبعة بعد . ظفرت به عند بعض الوراقين وفيه رسائل مختلفة للجاحظ وغير الجاحظ ، من كتاب القرن الثالث والرابع للهجرة . ولم أكد أنظر فيه حتى بهرنى وسحرنى وكرهت أن أوثر نفسى بقراءته ، فجئت أظهرك عليه وأشركك فى الاستمتاع به . ثم أخذ يقرأ على منه رسالة للجاحظ كتبها الى محمد ابن عبد الملك الزيات ...

رسالة الشكر والكفر

يسرك الله للخير ويسر الخير على يديك ، وهداك الله الى الحق وجعلك الى الحق هاديا ، ودلك الله على الصواب وجعلك على الصواب دليلا ، وعصمك الله من الشر الذى يلقى بأصحابه الى التهلكة ، وجنبك الباطل الذى يوفى بأهله على النار ، وحماك من الخطأ الذى يورط أهله فى الحيرة ، ويشرف بهم على الزيغ ، والهمك الله شكر النعمة فانه تمام المروءة وكمال الرجولة ، وسبيل الاستزادة من الخير ، وآية

الارتفاع عن النقص ، والتنزه عما يجعل الرجل نذلا فسلا ، وخسيسا لئيما • ولهذا أخبر الله عز وجل بقلة الشاكرين للنعمة ، الذاكرين للعرف ، فقال : « **اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور** » • والله عز وجل ، يريد لعباده الخير ، ويأبى لهم الشر ، ويدعوهم الى أن يرتفعوا عن النقائص ، ويتنزهوا عن الصغائر ، فهو يذكرهم بنعمه عليهم ، وآلائه فيهم ، ويأمرهم ألا ينسوا ما يهدى اليهم من فضل ويسدى اليهم من معروف ، وينذرهم بالعقاب الشديد ، والعذاب الاليم ان كفروا النعمة أو جحدوا الصنيعة • يعجل لهم العذاب فى الدنيا ، ويؤجل لهم العذاب فى الآخرة • ولهذا قال عز وجل فى سبأ : « **ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور** » ، وقال فى أهل مكة كما روى عن ابن عباس : « **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** » • وقد أدب الله رسله المكرمين، وأنبياءه المعصومين بهذا الادب فجعلهم حراصا على الشكر ، أباة للكفر لا يمسهم جناح رحمة الا شكروا ، ولا تنزل بهم النائبات الا صبروا عليها ، وشكروا لله الهامهم الصبر وتمكينهم من الاحتمال • ولذلك قال عز وجل على لسان سليمان عليه السلام ، لما سخر له الريح والجن وعلمه منطق الطير والحيوان : «**رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين** » •

ومن تمام الشكر لله ولى كل نعمة ، والمبتدىء بكل احسان ، الشكر للمنعم من الناس والقيام بمكافأته بما أمكن من قول وفعل • لان الله تبارك وتعالى نظم الشكر له بالشكر لذى النعمة من خلقه ، وأبى أن يقبلهما الا معا لان أحدهما دليل على الآخر وموصول به، فمن ضيع شكر

ذى نعمة من الخلق فأمر الله ضيع وبشهادته استخف ٠ ولقد جاء بذلك الخبر عن الطاهر الصادق صلى الله عليه وسلم فقال : من لم يشكر للناس لم يشكر لله ٠ ولعمرى ان ذلك لموجود فى الفطرة قائم فى العقل أن من كفر نعم الخلق كان لنعم الله أكفر ، لان الخلق يعطى بعضهم بعضا بالكلفة والمشقة وثقل العطية على القلوب ، والله يعطى بلا كلفة ٠ ولهذه العلة جمع بين الشكر له والشكر لذوى النعم من خلقه ٠

وقد أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بهذا الادب وفقههم فى هذا النحو من العلم ، فضرب لهم فيه الامثال الرائعة ، وعلمهم فيه الحكمة البالغة ٠ وقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **«ان ثلاثة من بنى اسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدا لله عز وجل أن يبتليهم فبعث اليهم ملكا فأتى الابرص فقال : أى شىء أحب اليك ؟ قال لون حسن وجلد حسن ، قد قذرنى الناس ٠ قال فمسحه فذهب عنه فأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا ٠ فقال : أى المال أحب اليك ؟ قال : الابل ٠ فأعطى ناقة عشراء ، فقال يبارك لك فيها ٠ وأتى الاقرع فقال : أى شىء أحب اليك ؟ فقال شعر حسن ويذهب منى هذا ، قد قذرنى الناس ٠ قال فمسحه فذهب وأعطى شعرا حسنا ٠ قال : فأى المال أحب اليك ؟ قال : البقر ٠ قال فأعطاه بقرة حاملا، وقال يبارك لك فيها ٠ وأتى الاعمى فقال أى شىء أحب اليك ؟ قال : يرد الله الى بصرى فأبصر به الناس ٠ قال فمسحه فرد الله اليه بصره ٠ قال : فأى المال أحب اليك ؟ قال : الغنم ، فأعطاه شاة والدا ، فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من ابل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من الغنم ٠ ثم أتى الابرص فى صورته وهيئته فقال : رجل مسكين تقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك ، اسألك**

بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ عليه فى سفرى ، فقال ان الحقوق كثيرة . فقال له كأنى أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فأعطاك الله ؟ فقال : لقد ورثت لكابر عن كابر . فقال : ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . واتى الاقرع فى صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا . فرد عليه مثل ما رد عليه هذا . فقال : ان كنت كاذبا فصيرك الله الى ما كنت . وأتى الاعمى فى صورته فقال : رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم الا بالله ثم بك ، أسألك بالذى رد عليك بصرك ، شاة أتبلغ بها فى سفرى . فقال :كنت أعمى فرد الله بصرى وفقيرا فقد أغنانى ، فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشىء أخذته لله . فقال : أمسك مالك فانما ابتليتم ، فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك » .

والشاكرون للنعمة بعد ذلك يختلفون ، فمنهم من يرى شكر المنعم من الناس حقا يجب أن يؤدى، ولكنه يؤدى على الكره والمشقة وتتعرض النفس فيه لما لا تحب ، وتؤثر ألا تتلقى النعمة من أحد ، فلا تحتاج الى الشكر والاعتراف باليد المهداة . ولما أعان بعض المشركين أبا سفيان يوم أحد فأنجاه من حنظلة بن أبى عامر ، وقد كاد حنظلة يقتله ، قال أبو سفيان :

ولو شئت نجتنى كميت طمرة ولم أحمل النعماء لابن شعوب

أراد انه خير بين خزى الفرار ، وكان رئيس القوم ، وبين الصبر حتى أنقذه ابن شعوب فاضطر الى أن يعرف له النعمة ويشكر له الصنيعة ، على ما فى ذلك من المشقة والكلفة .

ومنهم من يرى فى الشكر لذة ، وفى الكفر ألما ، فهو ينأى بنفسه عن ألم الكفر وما يورث من نقص المروءة ، وهو يمعن فى الشكر ، ويغالى بالنعمة التى أسديت اليه .

وقد قال العباس الصولى يشكر عمرا بن مسعدة :

سأشكر عمـرا مـا تراخت منيتى
أيادى لم تمنـــن وان هى جلت
رأى خلتى من حيث يخفى مكانهـا
فـكانت قذى عينيـه حتى تولت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه
ولا مظهر الشكوى اذ النعل زلت

وقال بعض الحكماء : اذا استطاع الرجل الحر ألا يدنيه أحد بنعمة يسديها اليه أو صنيعة يصطنعها عنده فليفعل ، فان شكر النعمة شىء لا يطيقه الا أولو العزم · وقال ازدشير : الدين على ضربين أحدهمـا يمكن اداؤه فى غير زيادة ولا نقص ، وهو دين المال الذى تقترضـه من الذهب والفضة والعروض ، والثانى لا سبيل الى ادائه مهما تفعل ومهما تبذل ، وهو دين النعمة المسداة والصنيعة المهداة لان المعانى لا تقوم بالثمن ولا تحدد بالكيل والوزن والعدد · قال أبو اسحق النظام: « فاذا أديت الى دائنك ما أقرضك من ذهب أو فضة أو عرض فقد أديت أخف الدينين حملا وأيسرهما مؤونة ، وبقى فى عنقك دين آخر لن تؤديه الا بالشكر المتصل ، والوفاء الدائم ، والثناء الذى لاينقضى » · والهزل فى هذا الباب ، جعلت فداك ، متصل بالجد ، فحياة الناس فى جميع أبوابها وألوانها قد وصل فيها الهزل بالجد ، والحق بالباطل ، والحزامة الصارمة بالدعابة الحلوة والفكاهة المسلية ·

وكان لنا صديق يعرف بأبى الرمل لم أر أجمل منه وجها ، ولا أحسن منه منظرا ، ولا أحلى منه حديثا ، ولا أزكى منه ذكاء ، ولا أزكن منه زكانة ، ولا أنفذ منه بصيرة ، ولا أدق منه فطنة ، ولا أصفى منه ذهنا ، وكان مع ذلك من أكفر الناس للنعمة ، وأجحدهم للصنيعة ، وأنساهم للمعروف ، وأعقهم للصديق ، وأشدهم انكارا لحق الولى ،

والتواء بدين المحسن اليه . وقد سمعنى أيام كنت أملى على أصحابنا فصولا من كتاب الحيوان فى الجن والغول وفى السعلاة والعفاريت وما قالت العرب فى ذلك من الجد والهزل ومن الصدق والكذب ومن الصحيح والمحال ، فكان يظهر الرضى بما يسمع والارتياح له . ثم افتقدناه أياما ، فلما سألت عنه بعض أصحابنا أخبرت انه مريض قد ألزمته العلة داره ، فرأيت عيادته على حقا وزيارته من بعض ما تفرضه العشرة المتصلة والمخالطة الطويلة . فسعيت اليه مع أصحابنا، فلم أكد أراه حتى أنكرت من أمره كل شىء . فقد رأيت رجلا غيرته العلة وأنهكه المرض ، حتى ذهبت نضرته ، وذوت زهرته ، واستحال جماله قبحا قبيحا ، وصار الى شر ما كان يكره له الصديق ويتمنى له العدو . فلما سألته عن أصل علته ، قال: **ويحك أبا عثمان عفا الله عنك وما أراه يفعل، فأنت أصل علتى ومصدر بلائى ، وأنت الذى جر على المحنة وصب على النقمة وملأ قلب الصديق - وما أقلهم - على اشفاقا ، وأفعم قلب العدو - وما أكثرهم - بى شماتة، فلولا ما حدثتنا به من أخبار الجان والعفاريت والغيلان والسعالى لما أصابنى شر ، ولا نزل بى مكروه . قلت وما ذاك أبا الرمل ! قال لقد أطلت التفكير فيما سمعت منك ، وأكثرت اعادته والحفظ له حتى شغلت به عن كل لون من ألوان العلم ، وعن كل ضرب من ضروب المعرفة ، وعن كل فن من فنون الحكمة . ودفعت ذات يوم الى البادية لا أعرف لذلك سببا الا انى كنت أحدث نفسى بأنى قد ألقى فيها من الاعراب من يحدثنى بمثل حديثك عن الجن والغول . وانى لفى بعض الطريق فى الصحراء وقد ارتفع الضحى وامتلأت الارض حرا ونورا وترقرق الآل على الكثبان من بعيد ... واذا امرأة تعرض لى لم أر أحسن منها حسنا ولا أبرع منها جمالا ، ولا أملح منها قدا ، وقد اتخذت زى نساء البادية وتزينت بزينتهن ، فأسألها من هى فتنبئنى**

ضاحكة بأنها هى التى خرجت ألتمس الحديث عنها • قلت مرتاعا : ياهذه أوضحى ما تقولين ، فانى لا أفهم عنك منذ اليوم ! قالت : ألم تخرج ملتمسا لانباء الغول متتبعا لاحاديثها ؟ قلت : ومن أنبأك بذلك ؟ قالت متضاحكة : ويحك أيها الرجل ! ألم تعلم اننا نتصور فيما شاء الله من الصور ، وانا نخالط الناس فنسمع منهم ، ونتحدث اليهم ونشاركهم فيما يأتون وما يدعون من الامر ، نراهم ان شئنا ولا يروننا ، ونسمعهم ان أحببنا ولا يسمعوننا ، ثم ننصرف عنهم الى ديارنا والارض كلها لنا دار ، فانى قد سمعت من صاحبك مثل ما سمعت من أخبارنا وأحاديثنا ، فأنكرت منه ما أنكرت ، وعرفت منه ما عرفت ، ورأيتك بهذا الحديث معنيا وله حافظا وعليه مقبلا، فعلمت انك قد خلقت للجن والغول ، ولم تخلق للناس الذين تعيش معهم وتضطرب بينهم فلزمتك مصبحا وممسيا ، ورافقتك غاديا ورائحا ، وراقبتك يقظان ونائما ، حتى اذا غدوت اليوم لما غدوت له رأيت ان قد بلغ الكتاب أجله وانتهى أمرك الى مدته وآن أن تبلغ ما انت ميسر له من عشرة الجن والغول ، فتراءيت لك ثم أقبلت عليك • ثم انا لن أفارقك منذ اليوم فستكون لى رفيقا ، سواء أرضيت عن ذلك أم سخطت عليه • وقد وليت عنها مدبرا وعدت الى دارى مسرعا ، ولكنى لم أخط خطوة الا رأيتها تخطو معى مثلها وحديثها الى متصل لا ينقطع ، واذا هى تلزمنى لزوم الظل ، واذا هى تبلغ معى هذه الدار وتقوم بينى وبين أهلى وولدى ، لا أقول لهم شيئا الا ردته على ولا يقولون لى شيئا الا ردت على غيره ، ثم هى تتشكل لى فى أشكال مختلفة وتتلون لى فى ألوان متباينة • فاذا أحستمنى انكارا لبعض ما أرى من أمرها قالت بصوت كأنه صوت الشياطين :

فما تدوم على حال تكون بها كما تلون فى أثوابها الغول

قال أبو الرمل : فأنت كما ترى أصل علتى ، والحق عليك أن تجد

لى منها مخرجا وتلتمس لى منها شفاء . ولم يكد يبلغ هذا الموضع من حديثه حتى ارتعنا جميعا ، وأخذنا خوف أى خوف ، فقـــد سمعنا صوتا يأتى من بعض نواحى الحجرة نسمعه ولا نرى مصدره ، وهـو يقول : هيهات هيهات أبا الرمل لن يجد لك أبو عثمان من ضيقك مخرجا ولن ينتهى بك من علتك الى شفاء الا أن تتغير نفسك فتصبح شاكرة للنعمة ، عارفة للصنيعة ، وهى قد فطرت على الكفر والجحود . وقد خرجنا من عند أبى الرمل وليس منا الا من يتلو « **قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس** . »

قلت لصاحبى : أجاد أنت فى اضافة هـــذا الكلام الى الجاحظ ؟ قال وهو يغرق فى الضحك : ما أكثر ما أضاف الجاحظ الى النـــاس مالم يقولوا ، فما يمنعنى أن أضيف اليه مالم يقل ..!

وفقك الله الى الخير والبر ، وعصمك من الشر والاثم ، وهداك الى الرشد المفضى بأهله الى الجنة ، ووقاك من الغى الموفى بأهله على النار ، وحبب اليك الحق الذى يملأ العقل نورا وحكمة ، وكره اليك الباطل الذى يملأ القلب غرورا وجهالة ، وحملك على الجادة التى تنتهى بك فى كل ما تعمل الى خير ما تحب لامير المؤمنين من نصح ولرعيته من العافية ، ولنفسك من النجح وارتفاع الذكر وبعد الصوت وقهر العدو والاستعلاء على الخصم ٠

فقد قال الله عز وجل « **وعلى الله قصد السبيل ومنها حائر ولو شاء لهداكم أجمعين** » ٠

وصرف الله عنك سوء الظن فانه مفسد لصدق الاخاء مكدر لسريرة الصديق، منغص لذات النفس ٠ وجعل الله موقع النصح الذى يقدمه اليك الصديق الحميم والمشير الامين حلوا فى سمعك ، عذبا فى قلبك ، حبيبا الى نفسك ٠ فقد كان يقال لا يحسن بالوزير الناصح للملك والمشير الامين عند السلطان ألا يقبل نصح أوليائه ان رفعوه اليه ، فانه ان أساء الظن بالناس أساء الناس الظن به وكان خليقا أن يسوء به ظن السلطان ٠

وحدثنى بعض أصحابنا من علماء الهند أن بيديا الفيلسوف كان يقول لدبشليم الملك : **ان علمت أن فى بعض وزرائك استبدادا فى الرأى واستكبارا على الاشارة وازورارا عن نصح الناصحين فاعلم انه**

جدير ألا يصدقك الرأى ولا يخلص لك فى النصح ، فليس بناصح لك من لا ينتصح ، وليس بمخلص لك من يشك فى اخلاص الناس له ٠ ولا ينبغى أن تأمن من لا يأتمن الناس ، ولا أن تطمئن لمن لا يطمئن الى أحد ٠

وكتب ارسطاطاليس صاحب المنطق الى اسكندر : **لا خير فى الصديق اذا لم يؤثرك على نفسه ، ولم يظهرك على دخيلة قلبه ، ولم ينصح لك فى الغيب والشهادة ٠ ولا خير فيه ان أصفاك بكل ذلك ولم يكن له صديق يقدم له من ذات نفسه مثل ما يقدم اليك ٠ فان الرجل الذى يصادق من فوقه من ذوى الدرجات وأصحاب المكانة ولا يصادق من دونه من الاولياء والسوقة خليق أن يكون أثرا يحب نفسه ولا يحب غيره ، ويبتغى بما يقدم اليك من النصح والمشورة ان يستأثر بك من دون الاولياء ، وأن يختص نفسه بما يجد عندك من معروف أو سلطان ٠**

جعلت فداك ، انما أكتب اليك ما أكتب من هذه الحكمة وأسوق اليك ما أسوق من هذه الاحاديث لامر عرفته اليوم فى الديوان ، فضاقت به نفسى ، وحزن له قلبى وأشفقت عليك من عاقبته ، وكرهت لك مغبته ، وخشيت ان يتجاوز الديوان الى مجالس الاشراف فى قصورهم ، والقواد فى جنودهم ، والعامة فى أنديتهم ومجالسهم ، فيتحدث الناس عنك بما لم يتحدثوا بمثله عن الوزراء من قبلك ، وتقع فى نفوسهم لك مهابة تقوم على الخوف والبغض ، ولا تقوم على المحبة والتجلة ، وشر ما يتعرض له أصحاب السلطان أن يهابهم الناس خوفا ورهبا ، وخير ما يتاح لاصحاب السلطان أن يهابهم الناس حبا واكبارا ، وطمعا فيما عندهم من الخير ، ورغبة فيما يجدون عندهم من البر والمعروف ٠

وقد كان كاتبك الحسن بن وهب يتحدث الى بعض أصفيائه وأنا أسمع على غير علم منه بمكانى بأن شعرا قد رفع اليك فيه عيب لك ونقد لبعض عملك ، فغضبت له وضقت به وأمرت بالبحث عن قائله لتذيقه غضبك وتصب عليه عذابك ، وتعلمه عاقبة طيشه ومغبة

... أمرتهم جميعا ... ألا يذكروك الا بالخير

استخفافه بالسلطان واجترائه على الحكام . ثم لم يكفك ذلك ولم يقنعك ، فأمرت أعوانك من الكتاب والعمال أن يتقدموا الى أصحاب الشعر المنظوم والكلام المنثور والى ذوى الاقلام المشرعة والالسنة المنطلقة ألا يذكروك فيما ينظمون من شعر أو يكتبون من نثر أو يديرون من حديث الا بالخير ، فان جنح منهم عن ذلك جانح أو انحرف منهم عن ذلك منحرف فان السجن له مهيأ والعقاب له مرصد ، والعذاب عليه محتوم . وهو خليق ان مسه الاذى ونزلت به العقوبة ألا يذوق للعافية طعما ولا يجد للحرية روحا ، ولا ينعم بلقاء الاهل ومودة الصديق ونعمة الدعة ، حتى يخرج من هذه الحياة ملوما مدحورا .

جعلت فداك ، فانى لم أكد أسمع هذا الحديث يسره الحسن ابن وهب الى بعض خاصته وذوى مودته فيبسم له حين يتحدث، ويبسمون له حين يستمعون اليه ، وتظهر فى وجهه ووجوههم آية الطاعة الساخرة والرهبة المستخفة ، حتى جزعت وفزعت ، وحتى ارتعت والتعت ، وحتى أشفقت عليه من أمر تعرف موارده وتوشك ألا تعرف مصادره، وتتبين أوله وتوشك ألا تتبين آخره .

وهو بعد ذلك لم يتح لاحد من الناس منذ كانت هذه الامة ، وقامت هذه الدولة ، واستقر سلطان المسلمين فى يثرب أيام الخلفاء الراشدين ، وفى دمشق أيام بنى أمية ، ، وفى بغداد أيام بنى العباس .

وماعلمت أصلحك الله ان خليفة من الخلفاء أو ملكا من الملوك أو وزيرا من الوزراء تقدم الى الناس بمثل ما تتقدم به اليهم ، وما علمت ان الناس استمعوا لمثل ذلك أو اذعنوا له أو اطاعوه ، وقد هم زياد ببعض ذلك فأوعد وغلا فى الوعيد ، وأنذر وأسرف فى النذير ، وطلب الى الناس ان يكفوا عنه أيديهم وألسنتهم ليكف عنهم يده ولسانه ، فصانعه من صانعه ، ونصح له من نصح ، وعارضه أبو بلال مرداس . فقال له : انك تحدثنا بغير ما يحدثنا به الله عز وجل ، تزعم انك

ستأخذ البرىء بذنب المسىء والله عز وجل يقول : « **ولا تزر وازرة وزر أخرى** » ٠

قال له أبو بلال ذلك فى جماعة المسلمين والمسجد بهم ممتلىء ، وزياد على منبره لم يفارقه ، وعليه شارة الملك ، ومن حوله قوة السلطان ٠ ثم انصرف أبو بلال مرداس لم ينله من زياد كيد ولم يمسسه منه أذى ٠ وقد كان لزياد ما علمت من القوة والبأس ، ومن العنف والبطش ، ومن اليد التى لم تكن تعرف القصر ، والسهام التى لم تكن تعرف الخطأ وانما تسدد فتصيب ، وترمى فتصمى ٠

جعلت فداك ، وما زال الناس يعدون على عبد الملك قوله حين جد الجد ، وعظم الخطب ، وانتشر الفساد فى الاطراف ، وتفرق الناس شيعا وأصبح فى كل جزيرة أمير ومنبر ، « من قال لنا اتقوا الله ضربنا عنقه » ، يرون انه تحدث بما لم يكن له ان يتحدث به ، وتكثر بما لم يكن يستطيع أن يبلغ من الامر ، وما أكثر ما قال الناس له اتق الله ، وما أقل ما ضرب من الاعناق ٠ وما أعرف انه عاقب على مشورة أو عذب فى معارضة ، وانما عاقب من شق عصا المسلمين ، وخلع يدا من طاعة ، وفرق كلمة الامة ٠

جعلت فداك ، ولو أن هذا الامر صدر عن أمير المؤمنين أيده الله لما رضينا ذلك له ، ولا قبلنا ذلك منه ، وهو خليفة رسول الله وابن عمه والقائم على سلطان المسلمين اعطوه بيعته عن رضى ودانوا له بالطاعة عن ثقة ، فكيف بك وقد وليت الوزارة اليوم وقد يعزلك عنها غدا ٠ وأنت لا تمضى ما تمضى من الامر الا عن اذنه ورضاه ، فكيف بك اذا نلت أحدا بأذى وكفه عنه أمير المؤمنين ، وكيف بك اذا ألقيت أحدا فى سجن وفتح بابه له أمير المؤمنين ، وكيف بك اذا تقدمت فى تعذيب هذا الشاعر أو هذا الكاتب ثم سعى السعاة الى أمير المؤمنين بأنك تتهم بالظن ، وتأخذ بالريبة ، وتعاقب فى غير تثبت ، وعفو أمير المؤمنين أوسع من سخطتك ، ورحمة أمير المؤمنين أوسع من نقمتك ، فماذا يقول الناس ان سخطت أنت ورضى هو ، وعاقبت أنت وعفا هو ٠ وعفو أمير المؤمنين لا يصدر عنه الا مصاحبا

بالبر والنعمة ، فماذا يقول الناس اذا عاقبت أنت وعفا أمير المؤمنين، ثم اتبع عفوه بالنعمة والجائزة ، وبالنائل والنافلة · ألست خليقا اذن أن تطلق ألسنة الناس فيك بما لا تحب وأن تعرض سلطانك للضعف وعزك للسخرية ·

جعلت فداك ، ان خير الوزراء من عرف لنفسه قدرها ، ولم يجاوز بسلطانه حده ، ولم يرفع نفسه الى أعلى من الموضع الذى وضعه فيه أمير المؤمنين ، ولم يعرض نفسه بذلك لانكار المنكر واحتجاج المحتج · واحذر ، جعلت فداك ، ان يرقى الشك فيك الى قلب الخليفة فيظن بك تجاوز الحد ، ويتهمك بأنك تعطى نفسك من السلطان ما لم يعطك، وتخولها من القوة ما لم يخولك · وأمير المؤمنين لم يتخذ الوزراء ليبسطوا على الناس أيديهم بالاذى وليصبوا عليهم النقمة صبا ، وانما اتخذ الوزراء ليشيعوا فى الناس رحمته ونعمته ، وينشروا فيهم بره وعدله ، ويرفعوا فيهم ذكره بالخير ، ويطلقوا ألسنتهم بالثناء عليه، ويملأوا قلوبهم بالحب له · والحب لا ينال بالقسوة ، والنصح لا يكتسب بالظلم ، وليست اشاعة النقمة وسيلة الى اكتساب الود ولا الى اصطفاء النفوس · فانظر أصلحك الله فى أمرك وانصح لنفسك ولامير المؤمنين · وانظر بعد ذلك فيما بينك وبين الله من حساب تستطيع أن تجعله يسيرا ان شئت ، وتستطيع أن تجعله عسيرا ان أحببت ·

واعلم ، جعلت فداك ، ان الزمان لا يثبت ، وانما هو منطلق دائما ، وان الايام لا تستقر ، وانما هو نهار يتبعه نهار ، والاحداث فى أثناء ذلك تحدث ، والخطوب فى أثناء ذلك تلم ، والنوائب فى أثناء ذلك تنوب ، والوزراء يولون ويعزلون ، والحكام ينصبون ويصرفون ، والدنيا تقبل وتدبر ، والحوادث تحلو وتمر ، والرجل اللبيب من اعتبر بهذا كله فلم يسرف على نفسه ، ولم يسرف على الناس ، ولم يقدم بين يديه من العمل ما يسوءه فى الدنيا ويخزيه فى الاخرة · وقد أطلقت لسانك ، جعلت فداك ، فى ابن أبى دؤاد وتقدمت الى عمالك فى أن يقولوا فيه مثل ما تقول ، وفى أن يبثوا حوله الارصاد

بالبر والنعمة ، فماذا يقول الناس اذا عاقبت أنت وعفا أمير المؤمنين، ثم اتبع عفوه بالنعمة والجائزة ، وبالنائل والنافلة · ألست خليقا اذن أن تطلق ألسنة الناس فيك بما لا تحب وأن تعرض سلطانك للضعف وعزك للسخرية ·

جعلت فداك ، ان خير الوزراء من عرف لنفسه قدرها ، ولم يجاوز بسلطانه حده ، ولم يرفع نفسه الى أعلى من الموضع الذى وضعه فيه أمير المؤمنين ، ولم يعرض نفسه بذلك لانكار المنكر واحتجاج المحتج · واحذر ، جعلت فداك ، ان يرقى الشك فيك الى قلب الخليفة فيظن بك تجاوز الحد ، ويتهمك بأنك تعطى نفسك من السلطان ما لم يعطك، وتخولها من القوة ما لم يخولك · وأمير المؤمنين لم يتخذ الوزراء ليبسطوا على الناس أيديهم بالاذى وليصبوا عليهم النقمة صبا ، وانما اتخذ الوزراء ليشيعوا فى الناس رحمته ونعمته ، وينشروا فيهم بره وعدله ، ويرفعوا فيهم ذكره بالخير ، ويطلقوا ألسنتهم بالثناء عليه، ويملأوا قلوبهم بالحب له · والحب لا ينال بالقسوة ، والنصح لا يكتسب بالظلم ، وليست اشاعة النقمة وسيلة الى اكتساب الود ولا الى اصطفاء النفوس · فانظر أصلحك الله فى أمرك وانصح لنفسك ولامير المؤمنين · وانظر بعد ذلك فيما بينك وبين الله من حساب تستطيع أن تجعله يسيرا ان شئت ، وتستطيع أن تجعله عسيرا ان أحببت ·

واعلم ، جعلت فداك ، ان الزمان لا يثبت ، وانما هو منطلق دائما ، وان الايام لا تستقر ، وانما هو نهار يتبعه نهار ، والاحداث فى أثناء ذلك تحدث ، والخطوب فى أثناء ذلك تلم ، والنوائب فى أثناء ذلك تنوب ، والوزراء يولون ويعزلون ، والحكام ينصبون ويصرفون ، والدنيا تقبل وتدبر ، والحوادث تحلو وتمر ، والرجل اللبيب من اعتبر بهذا كله فلم يسرف على نفسه ، ولم يسرف على الناس ، ولم يقدم بين يديه من العمل ما يسوءه فى الدنيا ويخزيه فى الاخرة · وقد أطلقت لسانك ، جعلت فداك ، فى ابن أبى دؤاد وتقدمت الى عمالك فى أن يقولوا فيه مثل ما تقول ، وفى أن يبثوا حوله الارصاد

ولست بخير من عمر ، وقد قال عمر للنـــاس : من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه ! فقال له قائلهم : لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا !

وقد لام اللائمون عثمان ، فقبل اللوم ، واعتذر من الخطأ ، وتاب الى الله من السيئات • فما أنت بخير من عمر ، وما أنت بخير من عثمان، وما أنت بخير من رسول الله **(صلى الله وسلم)** وقد رضى أن ينصف من نفسه •

فأنصف من نفسك اذن ، ولا تكلفها ما لا تطيق ، وضعها حيث وضعها الله ، وحيث وضعها أمير المؤمنين ، وأذكر انك لم تكن أمس شيئا فأصبحت اليوم بفضل أمير المؤمنين شيئا مذكورا •

فأشكر لله نعمته عليك ولامير المؤمنين يده عندك • **وخير شكر لله أن تذيع فى الناس العدل وتشيع فيهم الخير** ، وخير شكر لامير المؤمنين أن تشعر الناس بحبه لهم ورفقه بهم • وانهم عنده سواء •

وأنا أعلم ، جعلت فداك ، ان الحق مر ، وأن النصح ثقيل ، وان الصدق بغيض الى أصحاب السلطان • ولكننى أوثـــرك على نفسى وأصفيك خالص ودى ، ولقد علمت ما علمت فكتبت ما كتبت ، وأنا مرسل اليك هذا الكتاب فمرتحل الى البصرة لاقيم فيها بعيدا عن بغداد • فلان أكون مغمورا فى البصرة أحب الى من أن أكون مشهورا معروفا فى بغداد •

ومضى الجاحظ فى رسالته تلك الى محمد بن عبد الملك الزيات عـلى ماتعود أن يمضى فيه من الاستطراد والتنقل بين ألوان الحديث ، ولكن وقت القارىء أضيق من أن أتم له هذه الرسالة •

الوشاية و الوشاة

هداك الله الى الرشد ، وجعلك الى الرشد هاديا وللحق داعيا • وحماك الله من الغى ، وجعلك من الغى حاميا وعن الاثم ناهيا • ودلك الله على الخير وجعلك على الخير دليلا وبالبر كفيلا ، وعصمك الله من الشر ، وجعلك من الشر عاصما وللفتنة حاسما • ووقاك الله سعى الساعين بالاذى ، ودعاء الداعين الى القطيعة، وارجاف المرجفين بالكذب ، واسراف المسرفين فى الكيد ، ومشى الماشين بالنميمة •

فقد كان يقال ان صاحب القلب الذكى، والحكم الراجح ، والبصيرة النافذة ، خليق أن يحذر الساعين اليه بالناس

وأن يقدر أنهم ان يسعوا اليه اليوم فقد يسعون به غدا ، وأن يكيدوا لخصمه عنده والايام مقبلة عليه ، فقد يكيدون له عند خصمه والايام مدبرة عنه • وكان يقال ان الدهر قلب، وان الايام لا تؤمن، وان الزمان كلف بالغدر ، موكل بالمساءة ، يبسم ليعبس ، ويعبس ليبسم ! وكان يقال ان الرجل الحذر خليق ألا يؤتى من مأمنه ، وسبيله الى ذلك ألا يطمئن الى الايام ولا يستريح الى الدهر ، وأن يستقبل النعماء مقدرا انها الغمرات ثم ينجلين !

واذا كان الحزم للرجل اللبيب ألا يأمن الايام ولايطمئن الى الدهر ، فاحزم

من ذلك ألا يأمن الناس ولا يستريح اليهم ٠٠ فهم يسعون الى الرجل ذى السلطان والبأس رغبا اليه أو رهبا منه ، يلتمسون عنده الخير ، ويبتغون اليه الوسيلة ، ويسلكون اليه السبل حراصا على أن يخلو لهم وجهه ، ويصفو لهم وده، ويخلص لهم ضميره، فتغمرهم نعمته ، وتعدوهم نقمته وهم يعلمون ان صاحب السلطان والبأس لا بد له من أن ينعم ، فهم يحرصون على أن يستأثروا بأنعامه ولابد له من أن ينتقم ، فهم يجهدون فى أن يصرفوا نقمته عن أنفسهم٠ وهم فى كل ذلك يطلبون الى صاحب السلطان والبأس أكثر مما يطلبون الى أنفسهم ، ويأخذون منه أكثر مما يعطونه : يطلبون اليه أن يخصهم بصفو نفسه وصدق وده وشامل معروفه ، ولا يعطونه من أنفسهم الا الكدر والرنق ، ولا يمنحونه من ودهم الا التكلف والرياء ، ولا يهدون اليه من معروفهم الا تربص الدوائر به وانتهاز الفرص فيه، وانتظار اليوم الذى يتحولون فيه عنه الى من ينافسه ويناوئه ٠ فهم يعرضون قلوبهم ونفوسهم وعقولهم وضمائرهم للبيع ، ويقبلون ما يعرض عليهم لها من ثمن ٠ فأى الناس أرضاهم مالوا اليه، وأى الناس قصر فى ارضائهم انحرفوا عنه وتألبوا عليه !

ثم هم بعد ذلك لا يحفظون ودا ، ولا يرعون حرمة ، ولا يذكرون جميلا ٠ وانما يسرع النسيان الى قلوبهم فيمحو منها كل ذكرى ، ويلقى بينها وبين ما قدم اليهم من الخير والمعروف حجبا وأستارا ٠ ثم هم بعد ذلك لا يكتفون بالنسيان ، ولا يقنعون بنكران الجميل وكفر النعمة ، وانما يضيفون شرا الى شر ، ونكرا الى نكر ، وجحودا الى جحود ٠ قد أقاموا حياتهم على الكذب ، وأجروا سيرتهم على الرياء، وطووا ضمائرهم على النفاق ٠ فهم لا يستطيعون أن يعيشوا بأنفسهم وانما يستمدون حياتهم من المنعمين عليهم ، المحسنين اليهم ، ومن المغترين بهم ، والمنخدعين لهم ٠٠ فهم يتملقون من أتيح له السلطان، يسعون اليه من كل سبيل ، ويسلكون اليه كل طريق يرقون اليه على أعناق سادتهم الذين أحسنوا اليهم ، وبروا بهم ، وغمروهم بالمعروف ، لا يتحرجون من غدر ولا يتأثمون من نكر ، قد استحبوا

ومنها الوشاية بين الحبيبين

المنافع العاجلة على المنافع الآجلة ، وآثروا المكر على الاخلاص ، والغدر على الوفاء · فخليق بصاحب السلطان ان يعرفهم حق معرفتهم ، وان يضعهم حيث وضعوا أنفسهم ، وان يخشى ان يمكروا به كما مكروا بمن كان من قبله ، وان يتخذوه وسيلة الى التماس المنافع عند غيره كما اتخذوا من كان قبله وسيلة الى التماس المنافع عنده !

وهذا الصنف من الناس ـ أيدك الله ـ رذل الطبع ، موبوء القلب ، مدخول الضمير ، لا يحسب لشيء حسابا ، ولا يرجو لاحد وقارا · لا يفرق بين خير وشر ، ولا يميز عرفا من نكر ، وانما الخير ما انتهى به الى ما يريد ، والشر ما حال بينه وبين ما يريد · وانما العرف ما أداه الى غايته ، والنكر ما باعد بينه وبين غايته · فليس للفضيلة عنده وزن ، وليس للخلق الكريم فى نفسه قدر · وهؤلاء الناس ينتهى بهم مراسهم للكيد وامعانهم فى المكر الى أن يستعذبوا الاثم ويستحبوه ، والى أن يكذبوا حبا فى الكذب ، ويشوا ايثارا للوشاية · يجدون فى ذلك رضى لنفوسهم التى لا ترضى الا بالشر ، ولا تنعم الا بالوقيعة ، ولا تستريح الا الى الافساد بين الناس ·

وقد أدب الله عز وجل رسوله **صلى الله عليه وسلم** فأحسن تأديبه، ونهاه ونهى المسلمين معه عن طاعة كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم ، فما أجدر المسلم الذى ينظر لامر دينه كأنه يموت غدا ، ولامر دنياه كأنه يعيش أبدا ، ان يتأدب بهذا الادب الذى أدب الله به الانبياء والصديقين والابرار الصالحين ·

والوشاية ـ جنبك الله شرها ، وعصمك من نكرها ، ورد عنك أذاها ، وصرف الى عدوك شباها ـ تكون على ضروب مختلفة وألوان مفترقة · فمنها ما امتحن به نابغة بنى ذبيان فى قصر النعمان ، وذلك حيث يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عنى وشاية ... لمبلغك الواشى أغش وأكذب

وحيث يقول :

أتانى أبيت اللعـــن انك لمتنى
وتلك التى تصطك منها المسامع
فبت كأنى ســاورتنى ضــئيلة
من الرقط فى أنيابها السم ناقع
فانك كالليل الذى هو مدركى
وان خلت ان المنتأى عنك واسع!

ومنها وشاية بين الصديق والصــديق ، وبين الاليف والاليف تحول الصفاء جفاء ، والمودة عداء ... ومنها الوشاية بين الحبيبين تلك التى قال فيها الشعراء فأجادوا وأحسنوا .

والقول فى شكوى المحبين من وشاية الوشاة وعذل العذال ورقابة الرقباء ، خليق أن يطول وتلتوى مذاهبه . ولكنى ـ أيدك الله ـ لم أكتب اليك فى ذلك ، ولم أرد أن أظهرك عليه . وانما هو شىء عرض أثناء الحديث فألممت به الماما .. وأعود الى ما بدأت به من تحذيرك سعى الوشاة اليك وسعى الوشاة بك ، فأذكرك ـ وما أنت فى حاجة الى التذكرة ـ بما ترجم ابن المقفع فى كليلة ودمنة ، وبما روى الرواة عن ملوك العرب والعجم ، وبما قالت الحكماء فى ذلك من بـــارع الموعظة وروائع الحكم . وأنت ـ حفظك الله ـ حين تنظر فى بعض ذلك خليق ان تستقبل أمرك بالحزم ، وان تقيم سيرتك على الحذر ، وان تسوس أصحابك بالتحفظ ، وألا تمضى من أمرك ما تمضى ، ولا تدع منه ما تدع ، حتى تروى فتطيل الرويــة ، وتستبصر فتحسن الاستبصار .

ومن حقك على نفسك ، ومن حق الناس عليك ، ان تتهـــم الذين يسعون اليك ، ويطيفون بك . فان اتهام فريق من الناس والتثبت قبل الاستجابة الى ما يدعونك اليه ، خير لك وأسلم عاقبة من ظلم البرىء والاساءة الى المحسن ، والاحسان الى المسىء والتجاوز عـن المجرم . وقد أمر الله عز وجل نبيه **صلى الله عليه وسلم** ، وأصحابه

رضى الله عنهم ان يتثبتوا ان جاءهم فاسق بنبأ ، مخافة أن يصيبوا قوما بجهالة فيصبحوا على ما فعلوا نادمين ! والله عز وجل قد وضع فى أعناق العلماء ان ينصحوا للحكام فيخلصوا فى النصيحة ، وان يعظوهم فيحسنوا الموعظة ، وان يذكروهم بآيات الله كلما تعرضوا لنسيانها أو هموا أن يتحولوا عنها . ومن أجل هذا كتبت اليك ناصحا لك أمينا فى النصيحة ، وواعظا لك مخلصا فى الموعظة ، ومحذرا لك من الله الذى حذر الناس نفسه ، ومذكرا لك بآيات الله الذى طلب اليهم أن يتذكروا آياته .

وما أجدر الذين يسوسون الناس ويدبرون أمورهم ويقضون فى أنفسهم وأموالهم ، ان يضعوا أمامهم صحيفة يلقون عليها نظرهم بين حين وحين ، وقد كتبت فيها هاتان الآيتان الكريمتان من سورة الحجرات : « **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا . أيحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ان الله تواب رحيم .** »

ذلك أحرى أن يعصمهم من المظالم وأن ينزههم عن الكيد ، ويجنبهم كثيرا من الظن ، ويحملهم على ألا يأخذوا الناس بالشبهات .

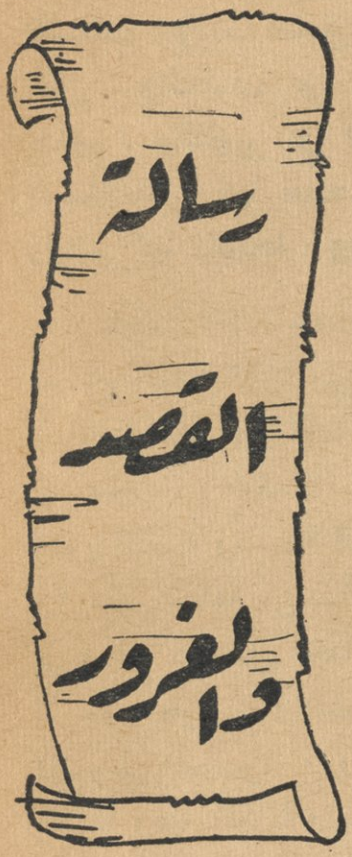

يسرك الله للخير ، ويسر الخير لك ، وصرفك الله عن الشر ، وصرف الشر عنك ، ودلك الله على الحق، ودل الحق عليك ، وساقك الله الى الصواب ، وساق الصواب اليك ، وأشاع الله فى قلبك الغبطة ، وأسبغ على نفسك البهجة ، وأنزل على ضميرك السكينة ، ونقى دخيلتك من الموجدة والضغينة ، وجعل ما ظهر من أمرك بشرا ويمنا ، وما خفى من سرك دعة وأمنا ، ووطأ كنفك للصديق المقارب، ومهد عفوك للعدو المجانب ، ورفع مكانك عن كيد الكائدين وحسد الحاسدين ، وخفض جناحك للائذين بك واللاجئين اليك ، وثبتك على ما ركب فى طبعك من اعطاء المحروم ، واغاثة الملهوف ، واعانة المحتاج ، وتعزية الملتاع ، والاخذ بيد الضعيف ، والتجاوز عن اساءة المسىء ، والاعراض عن جهل الجاهلين .

بهذا كله ادعو لك حين القاك وحين أنأى عنك ، وبهذا كله ادعو لنفسى حين اخلص لها خاليا اليها ، وحين أشغل عنها نافرا منها ، **فالله يشهد ما أحببت لنفسى شيئا الا أحببت لك مثله أو خيرا منه، وما كرهت لنفسى أو من نفسى شيئا الا تمنيت ان يعصمك الله منه ،**

وينزهك عنه ، ويجنبك التورط فيه • فأنت رفيق الصبا وصديق الشباب ، وأنت شقيق نفسى وأليف قلبى ، والشريك فى النعمة حين تظل ، والحليف على النائبة حين تنوب ، والمعين على الخطب حين يدلهم ، والظهير على الايام حين تحدث فيها الاحداث وتتعقد فيها المشكلات • فما نصحت لك قط ولا أشرت عليك ولا رفقت بك الا رأيتنى لها ناصحا ، وعليها مشيرا ، وبها رفيقا •

وما أعلم انك احتجت قط الى نصح الصديق ومشورة الخليل كما تحتاج اليهما الآن حين ارتفعت منزلتك عند أصحاب الشأن ، وألقى اليك الخطير من أزمة الحكم ، فطمع فيك الطامعون ، وأشفق منك المشفقون ، وانعقدت بك الآمال ، ولاذت بك الامانى ، وأصبحت من وفور النعمة وبسطة الجاه بحيث لا تستقبل النهار ولا تستقبل الليل ولا تعبر ساعة من ساعاتهما أو لحظة من لحظاتهما الا فكر فيك مفكر يريد أن يستظل بجناح من نعمتك أو يتقى طائفا من نقمتك ، فأنت المرجو المخوف ، وأنت المحبب المبغض ، وأنت المرموق الموموق ، وأنت المغبوط المحسود • واذا بلغ الانسان مثل ما بلغت من ارتفاع المنزلة وعلو المكانة وانبساط السلطان وامتداد القوة كان خليقا ان ينأى بنفسه عن الغرور والتيه ، ويبرئها من الصلف والكبرياء ، ويحميها من الاندفاع فى الثقة والاعتداد بالحول والطول والاستغناء بالثراء والبأس ، ويذكر انه قد قوى بعد ضعف ، وأثرى بعد فقر ، واستغنى بعد احتياج ، وان ضمائر الايام تحفظ للناس من أسرار الغيب ما يحبون وما يكرهون ، وتدخر لهم من الاحداث ما يعرفون وما ينكرون • فمن أتيحت له القوة قد يقدر له الضعف ، ومن مكن له فى الارض قد تنبو به الدار ، ومن ابتسمت له الايام قد يعبس له الدهر • النعمة وديعة فى أيدى أصحابها قد يطلبها من استودعهم اياها ، والقوة عارية فى أيدى الاقوياء قد تؤخذ منهم لترد على الضعفاء • والله عز وجل يقول : « **وتلك الايام نداولها بين الناس** » •

وقد قال الشاعر القديم :

ويـوم نساء ، ويوم نسر فيوم علينـا ، ويوم لنا

فأحذرك أول ما أحذرك أيها الاخ الصديق والخليـل الشفيق ، الاعتداد بالنفس ، والاغترار بالحول والطول ، والانخداع بابتسامات الدهر ، فانها قد تصدقك اليوم لتكذبك غدا ، فاحذر نفسك أول ما تحذر ، وأشفق عليها منها قبل أن تشفق عليها من الناس ، وأذكر قول الله عز وجل فى قصة يوسف عليه السلام : « **وما أبرىء نفسى ان النفس لامارة بالسوء** » فلا تنفذ لنفسك أمرا تتلقاه منهاحتى تتدبره وتفكر فيه فتطيل التفكير · ومهما يواتك الحظ فاذكر حالك قبل أن يواتيك ، وقدر أنك قد تعود الى مثل ما كنت فيه ، واذكر رأيك فى أصحاب الرأى قبل أن تكون منهم ، ونقدك لهم وحكمك عليهم قبل أن ترقى الى مكانك بينهم · واعلم ان الناس يقولون فيك مثل ما كنت تقول فيهم ، ويحكمون عليك بمثل ماكنت تحكم عليهم · واذكر أول ما تذكر ان لك ضميرا يرضى ويسخط ، ويعرف وينكر، ويحمد ويذم، وان أعباء الحكم قد تشغلك عنه أو تشغله عنك ، ما امتدت لك أسباب القوة ، ولكنك ستفرغ له كما أنه سيفرغ لك ، ذات يوم أو ذات ليل ، فاحرص على ألا تسمع منه الا خيرا ·

وأنت بعد ذلك محتاج الى نصح الصديق ومعونة الخليل فيما أحدث الحكم بينك وبين الناس من صلات ، فأنت تدبر أمورهـــم وترعى مرافقهم ، تسوسهم باللين حينا وتسوسهم بالشدة أحيانا · فأنت تطمع وتخيف ، وأنت تشيع الرغب وتشيع الرهب ، وأنت تمد أسباب الرجاء وترسل الى القلوب صواعق اليأس · فالناس بين مبتغ اليك الوسيلة ومتربص بك الدائرة ، ومنتهز فيك الفرصة · كلهم يظهر لك المودة ، وأكثرهم يضمر الموجدة عليك ، ويطوى قلبه لك على شر ما تطوى عليه القلوب ·

وأخوف ما أخاف عليك من الناس : سعيهم عندك بالنميمة ، ومشيهم اليك بالوقيعة ، وابتغاؤهم رضاك بالوشاية ، فالناس يبتغون الى الحاكم كل وسيلة ، ويتقربون اليه من كل سبيل · يتنافسون

فيما عنده ، ويغريهم ذلك بأن يكيد بعضهم لبعض ، ويمكر بعضهم ببعض ، ويتكذب بعضهم على بعض ، كلهم يريد أن ينال من الحكومة أكثر مما ينال غيره من النظراء ، وهم من أجل ذلك فى هم مقيم وتحاسد متصل ، وتباغض ملح ، يسعون الى آمالهم بما يستقيم من الطرق وما يعوج ، وبما يباح من السيرة وما يحظر ، وبما يحسن من القول والعمل وما يقبح ، يتبادلون المساءة فيما بينهم ولكنهم يختصونك بشر ما يتبادلون من النكر والسوء ، ويفسدون قلبك على الناس فيفسدون قلوب الناس عليك ، ويسيئون رأيك فيهم فيسيئون رأيهم فيك . ثم ينتهون آخر الامر الى أن يفسدوا عليك أمرك ، ويسيئوا رأيك فى نفسك ، ويباعدوا بينك وبين ضميرك ، وينغصوا عليك راحة الليل ونشاط النهار .

واذا وجب عليك أن تحذر نفسك وأن تحذر الناس فقد يستبين لك أن الحكم نقمة لا نعمة، ومحنة تبتلى بها النفوس، وتفتن بها القلوب، وتمحص بها الضمائر، فهو عناء لا راحة، وهو شقاء لا سعادة، وهو قلق لا هدوء وهو خوف لا أمن . واذكر أصلحك الله أيام كنا نلتقى فنذكر فلانا وفلانا من الحكام الذين سبقوك ، نعيبهم كثيرا ، ونثنى عليهم قليلا ، ونرثى لهم دائما ، ونتمنى للصديق منهم أن يجلى الله عنه الغمرة ، ويفرج عنه الكربة ، ويحط عنه أعباء الحكم وأوزاره ، ويرده الى الحياة الحرة السمحة التى لا يحمل الانسان فيها الا أوزار نفسه ، والتى لا يثقل الانسان نفسه فيها بأوزار الناس ، وما أكثر أوزار الناس !

ولقد تبسم راضيا أو ساخطا حين تعلم انى أكتب اليك هذه الرسالة ، وفى نفسى من الحب لك والرفق بك والاشفاق عليك ، مايحملنى على أن أسأل الله لك العافية ، وأتمنى عليه أن يضع عنك اصر الحكم وأغلاله ، وأن يردك الى من هذه المحنة سالما موفورا ، وقانعا من الغنيمة بالاياب . فخير غنيمة للحاكمين أن يخرجوا من الحكم أتقياء كما كانوا قبل أن يدخلوا فيه ، لم يغنموا منه الا سلامة الاياب !

رسالة إلى ...

لست أدرى كيف أدعوك ! فقد كنت فيما مضى من الايام أدعوك بالاخ العزيز والصديق الكريم ، وأنا أخشى أن أسوءك وأن أسـوء الحق ان دعوتك بهاتين الصفتين : احداهما أو كلتيهما ٠

أخشى أن أسـوءك باثارة الحزن والاسى فى نفسـك وباثارة الندم فيهـا أيضا ، فأنت تعلم انك لم تبق لى أخا عزيزا لانك ألغيت هـذا الاخاء ، ولا صديقا كريما لانك قطعت أسباب هذه الصداقة ٠ وقد يسوءك تذكيرك بما مضى ، وقد يحزنك ردك الى ما سلف ، وقد يشق على نفسك أن تتبين أن لا سبيل الى استدراك ما فات ، ولا الى استئناف ما فرط ، فلأمر ما أرسل القدماء مثلهم المعروف : « **سـبق السيف العذل** » ٠

وقد يثير الندم فى نفسك أن تصدقك الذكرى بعد أن بعد العهد ، وسكت الغضب ، ورضيت الاطماع ، وتغيرت الظروف ، فتنبئك بأنك قد تجنيت فى غير موضع للتجنى ، وتكلفت القطيعة فى غير مقتض لتكلفها ، وأقدمت عليها حين كان كل شىء يدعوك الى أن تحجم عنها وترفع نفسك عن اثمها ٠٠!

نعم لست أدرى كيف أدعوك ! فلست أريد أن أسوءك ، ولست أريد أن أسوء الحق ، فالحق يعلم انك كنت لى أخا عزيزا وصديقـا

كريما ، ثم ألغيت الاخاء الغاء ومحوت الصداقة محوا • وما أحب أن أدعوك سيدى كما تعود الناس أن يدعوا من ليس بينهم وبينه صلة من مودة أو اخاء ، فانى أشق على نفسى وأكلفها أكثر مما تطيق ان دعوتك بهذا الاسم ، وقد أشق على شيء هو أكرم على من نفسى وان لم يكن عليك كريما ، وهو الذكرى •

ولعلك لم تنس بعد ما كنا نتحدث به أيام الصفاء من اننا قد بلغنا السن التى يحرص الناس فيها على الذكرى كما يحرصون عـلى أنفس الكنوز ، لانها خير من كل ما بقى لهم ، أو هى خير ما بقى لهم من حياة قد مضى أكثرها ولم يبق الا أقلها ، وليس الى استئنافها من سبيل •

وكنا نقول فى أيام الصفاء تلك انا قد بلغنا السن التى يحتفظ فيها الرجل الكريم بشيئين أشد الاحتفاظ ، ويحرص عليهما أعظم الحرص، ويضن بهما أكثر مما يضن البخيل بماله ، وهمـــا : الذكرى التى تستبقى له حياته أو ما يمكن استبقاؤه من هذه الحياة ، والصداقة التى تصل بينه وبين الدنيا حين تنقطع الاسباب بينه وبين الدنيا كلما مرت ساعة من ليل أو ساعة من نهار • وكنا نتواصى فى أيام الصفاء تلك بأن يخلو كل واحد منا الى نفسه ما استطاع ، فيستحضر الماضى كله ويعصره عصرا ليستخلص منه ما يستطيع أن يستخلصه من الذكرى وليسجله فى كتاب حتى لا تعبث به الاحداث ، وحتى لا تذهب به الايام ، وحتى لا تمحوه هذه الشيخوخة التى تسرع الينا أو نسرع اليها ، والتى تفنى كل شيء فينا قليلا قليلا ، فكنا نريد أن نستخلص الذكرى من الاحداث والايام والشيخوخة ونكرهها على البقاء لاننا نجد العزاء كل العزاء فى الرجوع اليها والاستماع لما تقص علينا من أحاديث أنفسنا ، والاستمتاع باستحضار ما عملنا ، وما لا نستطيع أن نعمل •

وكنت أحبك أشد الحب ، وأوثرك على الناس جميعا ، وأوثرك على نفسى قبل أن أوثرك على الناس • وكنت تحبنى أشد الحب ، وتؤثرنى على الناس جميعا ، وتؤثرنى على نفسك قبل أن تؤثرنى على الناس •

وكان كل واحد منا حريصا من أجل ذلك على أن يعرف من أمر صاحبه كل شيء ٠

كنت أنت قد بلغت الثلاثين ، وكان بينى وبينها أعوام قليلة حين التقينا وحين اصطفى كل واحد منا صـــاحبه على غيره من اللدات والاتراب ٠ ومنذ ذلك الوقت لم يخف على أحدنا من أمر صاحبه شيء ٠ ولكن كلا منا كان يجهل صبى صاحبه وشبابه ، وكان يحرص على أن يعرف صبى صاحبه وشبابه ٠ وكنا نتواصى فى أوقات الصفاء تلك بأن نستقصى فنحسن الاستقصاء ، وبأن نحصى فنتقن الاحصاء ، وبأن نسأل الاهل عما كان من أمر طفولتنا حتى لا يفوت أحدنا من أمر صاحبه قليل أو كثير ٠ كان كل واحد منا حريصا على أن يعمر قلبه بصورة من صاحبه كاملة الى أقصى ما يتاح للاشياء الانسانية من الكمال ٠

أتذكر هذا كله ، أم نسيته كما نسيت كثيرا غيره من الاشياء ؟ أما أنا فأذكره كما أذكر نفسى ، وأنعم به كما أنعم بنفسى ، وأشقى به كما أشقى بنفسى أيضا ٠ فأنت تعلم أن الانسان المتفكر يجد فى نفسه ينبوعين يفيض أحدهما بالسعادة ، ويفيض ثانيهما بالشقاء ٠

لم أنس من هذا كله شيئا ، ولن أنسى من هذا كله شيئا ، وسأنعم بهذا كله فأجد شقاء فى هذا النعيم لانه لا يزداد ولا ينمو ولا يتجدد ، وسأشقى بهذا كله فأجد نعيما فى هذا الشقاء لانه يستبقى لى سعادة قد بلوتها فحمدت بلاءها وما زلت أذوقها وأحرص على استبقاء هذا المذاق ٠

كل هذا أقوله لانى لا أدرى كيف أدعوك ٠٠٠ فلست أخى العزيز ، ولست صديقى الكريم ، لانك لا تريد أن تكون هذا ولا ذاك ، ولست سيدى لانى لا أريد أن أدعوك بهذا اللفظ السخيف الفارغ الذى لا يدل على شيء ٠ وما حاجتى الى أن أدعوك ! وما حاجتك الى هذا الدعاء ! وما يمنعنى أن أكتب اليك دون أن أبدأ رسالتى بما تعود الناس أن يبدأوا به رسائلهم من هذه الالفاظ ٠ انك لتفهم عنى وان لم أدعك ، وانى لاوجه اليك القول وان لم تسمع دعائى ٠ وما حاجتى الى أن أدعوك وأنا لن أرسل اليك هذا الكتاب فى بيتك فى القاهرة ، أو فى مصيفك فى

الاسكندرية ، أو غيرها من مصايف مصر ، فلست أعرف أين تصطاف ، وقد مضى زمن كنت أسأل فيه عنك فى أى فصل من فصول السنة ، وفى أى شهر من شهورها ، وفى أى يوم من أيام الشهر ، وفى أى ساعة من ساعات اليوم ، فأعرف أين تكون ... وأدل سائلى على مكانك من دارك ، أو مكتبك ، أو ناديك ، أو ما شئت من هذه الاماكن التى كنت تضطرب بينها وتختلف اليها . فأما الآن فأنا أجهل من أمرك كل شىء الا هذه الانباء التى أقرأها فى هذه الصحيفة أو تلك .

فأنت رجل تتحدث عنه الصحف فتكثر الحديث ، وتروى أنباءه فتحسن رواية الانبـــاء . لا أعرف من أمرك الا ما يعرفه كل قارىء للصحف ، ولا ألقاك الا حين تفرض علينا ظروف الحياة أن نلتقى فى هذا الحفل أو ذاك . وقد يقبل أحدنا على صاحبه مكرها فيهدى اليه تحية فاترة ملؤها الاستحياء أو الاستخذاء ، وفيها كثير من التعجل ، وفيها كثير من الرغبة فى أن يطرأ طارىء أو يقبل مقبل أو يكون شىء من هذه الاشياء الكثيرة التى يفترق لها الناس بعد اجتماع ، ويشغل بها بعض الناس عن بعض فى هذه المواطن التى يقوم الامر كله فيها على التكلف والتجمل والرياء . لا أعرف من أمرك الا ما يعرف الناس جميعا ، ولا ألقاك الا كما يلقى بعض الناس بعضا فى هذه الاجتماعات السخيفة البغيضة التى تسوء أكثر مما تسر وتغيظ أكثر مما ترضى ، والتى لا أشهدها الا رجعت منها بالسخط على نفسى وعلى الناس .

أتذكر ؟! لقد كنا نتحدث فى ذلك فنطيل الحديث ، نضحك منه كثيرا ، ونحزن له كثيرا ، ونسخر منه دائما .

لا أعرف من أمرك الا ما يعرف الناس جميعا ، ولا ألقاك الا فى هذا الفصل الذى يلتقى الناس فيه حول مائدة من موائد الشاى أو موائد الطعام . لا أسمع صوتك فى التليفون قبل أن يرتفع الضحى ، ولا أسمع صوتك فى التليفون حين يتقدم الليل ، ولا تسعدنى زيارتك حين أقيم ، ولا تؤنسنى رسائلك حين أغترب . ومن أجل ذلك أكتب اليك دون أن أضع عنوانك على هذا الكتاب ، ودون أن أسلم هذا الكتاب الى البريد ، لأنا فقدنا عادة المكاتبة كما فقدنا عادة التزاور ،

وكما فقدنا عادة الحديث بالتليفون · وأنا مع ذلك أكتب اليك وأسلم كتابى الى المجلة لانى واثق بأنه سيصل اليك دون أن تعرف لمن أكتب أو الى من أسوق الحديث ! ودون أن يعرف أحد من قرائها لمن أكتب والى من أسوق الحديث ، الا أنت ، فستعرف حق المعرفة لمن أكتب والى من أسوق الحديث ·

ستقرأ هذا الكتاب ما فى ذلك شك ، لانك تقرأ كل ما أكتب كما أقرأ أنا كل ما تكتب ، فأنت مريض بى كما انى مريض بك ، لا نلتقى ولا نتزاور ولا نتحدث ، ولكننا نتصل على رغم هذا كله اتصالا يشوبه الرضى حينا ، ويشوبه السخط حينا ، ويشوبه الحزن دائما ·

ستقرأ هذا الكتاب وستعلم أنه موجه اليك ، وسترى نفسك فيه فتنكرها أشد الانكار وتود لو تجهلها ولو تستطيع أن تفلت منها ، وستحاول ذلك ما وسعتك المحاولة ، ولكنك لن تبلغ من ذلك شيئا ·

فهناك شيئان لا يستطيع الانسان أن يفلت منهما مهما يجهد ومهما يحاول ··· لا يستطيع الانسان أن يفلت من نفسه ، ولا يستطيع الانسان أن يفلت من ملك ربه كما يقول أبو العلاء ·

سترى نفسك فى هذا الكتاب ، وستنكرها أشد الانكار ، وسيلذع الندم قلبك على ما أضعت من حق ، وما بددت من مودة كان يجب عليك أن تحتفظ بها، ولكنك ستتكلف النسيان، وستنسى أحيانا، وسيعود اليك الندم فيعذب قلبك عذابا شديدا · انك تود لو تستطيع أن تصل ما انقطع من الاسباب وتجمع ما تفرق من الشمل ، ولكنك ستجد بينك وبين هذا أمدا بعيدا لا سبيل الى قطعه ، وهوة سحيقة لا سبيل الى عبورها · فالدواعى التى دفعتك الى القطيعة ما زالت قائمة لم تمحها الظروف بعد ، وستمحوها الظروف من غير شك غدا أو بعد غد · ولكنك حينئذ ستستحى من التفكير فى وصل ما قطعت من سبب ، وجمع ما فرقت من شمل ، وستؤثر الموت على العودة الى صديق قطعت أسباب وده طلبا للمتعة ، وتهالكا على أعراض الحياة ، ورغبة فى الوصول الى ما كانت نفسك تتقطع عليه حسرات ·

لقد كنت تجهل نفسك جهلا شديدا ، وما أرى الا أنك تجهل نفسك جهلا شديدا وان كنت قد بلغت سن «الشيوخ» · وليس عليك من ذلك بأس · فالحكمة التى كتبت على معبد دلف لم تكتب عبثا ·· طلبت الى الانسان أن يعرف نفسه بنفسه ، وقد اجتهد سقراط فى أن يستجيب لهذه الحكمة ، وفى أن يعرف نفسه ، فلم يبلغ ما أراد · وما أحسبك أذكى قلبا ، ولا أمضى عزما ، ولا أشد جلدا من سقراط ·

لقد كنت تجهل نفسك · كنت ترى نفسك رجلا خيرا مؤثرا ، فكشفت لك الايام عن رجل قد يكون خيرا ولكنه ليس من الايثار فى شىء ، وانما هو الاثرة فى كل شىء !

كنت ترى نفسك زاهدا فى متاع الدنيا وأعراض الحياة ، فكشفت لك الايام عن رجل قد يرتفع بنفسه عن المتـــاع الدنىء والاعراض المخزية ولكنه يتتبع الثراء ما استطاع اليه سبيلا ، والجاه ما وجد اليه مسلكا ، وغرور المنصب ما أتيح له الغرور ·· يؤثر هذا كله على كل شىء حتى على الوفاء ، وعلى كل انسان حتى على الاخ العزيز والصديق الكريم · انك « أديب » ولكنك تحب الادب الســـهل وتكره الادب العسير · ولم يكن شىء يغيظك فى أيام الصفاء تلك، كما كان يغيظك تحدثى اليك عن بعض آيات الادب الرفيع · كنت ترانى أعيش فى السحاب ، وكنت تطلب الى أن أهبط الى الارض ، وكنت تشكو الى ما أشق به عليك من هذه المعانى التى لم تألفها فى شعر شـــعرائنا ونثر كتابنا ومن هذه الآمال التى لم نألفها فى حياتنا المتواضعـــة الراكدة ·

فدعنى أشق عليك مرة أخرى ببعض هذا الادب الرفيع الذى كنت تضيق به أشد الضيق · وعلم الله ما كتبت اليك لاشق عليك ، ولكن هذا الادب الرفيع قد يظهر الناس على نفوسهم أحيانا ، وأنا أحب أن أظهرك على بعض نفسك لعلك تتذكر أو تخشى ، ولعلك تستقبل أيامك بغير ما تعودت أن تستقبلها به الى الآن · انى أقرأ فى قصة تمثيلية لشاعر يونانى لست فى حاجة الى أن أسميه ، لان اسمه لن يدلك على شىء · اقرأ فى هذه القصة اليونانية حديث أم الى ابنتها ،

وقد لقيته بعد نفى طويل .. فهى تسأله عن حياته فى المنفى وتقول له فيما تقول : **ألم يعنك أصدقاء أبيك وهؤلاء الذين نزلت عليهم ضيفا؟** فيجيبها : **يجب أن يكون الانسان سعيدا ليجد مودة الاصدقاء، فان الاصدقاء لا يغنون عن الصديق البائس شيئا .**

واقرأ فى قصة فرنسية لكاتب لا أسميه ، لان اسمه لن يدلك على شىء، **ان الصداقة تقف الانسان عن أن يتقدم الى أمام وقد ترجع به أحيانا الى وراء . فمن الخير ألا يستبقى الانسان صداقة تمنعه من الرقى الى ما يطمح الى تحقيقه من الآمال .**

أرأيت لم يهجر الصديق الصديق ؟ أرأيت لم يعرض الخليل عن ود الخليل ؟ أرأيت لم قال الشاعر العربى القديم :

غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت
مسافة الخلف بين القول والعمل

عد الآن الى نفسك وسلها : متى رثت أسباب الود بينك وبينى ومتى انقطعت هذه الاسباب ؟ .. فستفهم كل شىء ، وستعرف من أمر نفسك ما خفى عليك . والله يداول الايام بين الناس ، والارض تدور والظروف تتغير ، وسترى قوما يألفونك الآن ويتهالكون عليك كما يتهالك الذباب على الطعام الشهى . ستراهم حين يتم الزمن دورة من دوراته ، وحين يبدل الله من قوم لقوم ، وحين تذهب ظروف وتأتى مكانها ظروف أخرى ، وقد انصرفوا عنك كما انصرفت أنت عن بعض الناس ، وتنكروا لك كما تنكرت أنت لبعض الناس . فاذا مضت الايام استحيوا منك كما تستحى أنت الآن من بعض الناس .

صدقنى انى لا أعرف الرجل الكريم حقا الا بخصلة واحدة ، هى أن يتجنب فيما بينه وبين الناس من صلة ، ما من شأنه أن يخزيه أمام نفسه .. فالرجل الذى لا يخزى أمام نفسه خليق ألا يخزى أمام الناس ، والرجل الذى يكره أن يستحى أمام ضميره حين يجنه الليل ويسكن من حوله كل شىء ، خليق أن يتجنب ما يضطره الى أن يستحى من الناس .

صدقنى ان نفوس الناس معادن ، ومن المعادن ما يعلوه الصدأ ، ومنها ما لا يجد الصدأ اليه سبيلا . وكم كنت أتمنى أن تكون نفسك أصفى وأنقى وأقوم وأمتن من أن يعلوها الصدأ أو تعبث بها الخطوب . ولكن لا بد مما ليس منه بد ، ولا سبيل الى اصلاح ما أفسدت الايام !

أفهمت الآن لم لم أرسل كتابى اليك ؟.. أفهمت الآن لم لم أعرف كيف أبدأ كتابى اليك ؟ وهناك شىء آخر أحب أن تفهمه فقد يكون فى فهمك اياه بعض هذا العزاء الرخيص : لماذا كتبت هذا الكتاب ، وقد انقطعت الاسباب بينك وبينى ، ولماذا نشرت هذا الكتاب فى المجلة ؟! لسبب يسير جدا وهو أن أمثالك فى الناس كثيرون بل أكثر جدا مما تظن ، فليس هذا الكتاب الا مرآة لن تكون أنت الشخص الوحيد الذى يرى نفسه فيها .

قرأ سلامه موسى

فرويد ...

و أدلر ...

ويونج ...

وعشرات غيرهم

ثم كتب

أسرار النفس

فى السلوك البشرى والعقد النفسية والحياة الجنسية

كتب للجميع

قلب مغلوب

لا تغضب ، فلم أرد الى اغضابك ، ولو قد أردت اليه لما استطعته ولا قدرت عليه ، فأنت رجل متئد رزين ، شديد الوقار ، عظيم الحلم . لا يشبه حلمك بالبرد كما كان يصنع أبو تمام ، لانه ليس حلما حضريا مترفا ، وانما يشبه بثبات الصخر واستقرار الجبال كما كان يصنع الفرزدق ، لا لانه حلم بدوى ساذج كحلم قيس بن عاصم أو الاحنف ابن قيس أو معاوية بن أبى سفيان ، بل لانه حلم يأتى من هذا الحجاب الصفيق الذى ضرب بين قلبك وبين الاحداث والخطوب . فأنت رجل لا تبلغك الاحداث ، ولا تصل اليك الخطوب . قد ألقيت بينك وبين حياة الناس أستار كثاف ، وعشت أنت من دون هذه الاستار مشغولا بنفسك عن كل شيء ، ومنصرفا الى نفسك عن كل انسان . يستطيع الناس من حولك أن يرضوا ويسخطوا ، وأن يثوروا ويهدأوا ، وأن يأمنوا ويخافوا ، وأن يتجهوا اليك ليشركوك فى رضائهم وسخطهم ، وليقسموا لك حظا من هدوئهم وثورتهم ، ولينعموا معك بالامن ان أتيح لهم الامن ، وليستعينوا بك على الخوف ان سلط عليهم الخوف ، ولكنهم لن يبلغوا من ذلك شيئا ، لانهم لن يستطيعوا أن يتجاوزوا ما ألقى بينك وبينهم من حجب ، ولا ما أسدل بينك وبينهم من أستار .

انما أنت رجل محصن ، لا يبلغه العدو ولا يصل اليه الصديق ، وأكاد أعتقد أن ليس لك عدو ولا صديق . شغلت بنفسك حتى يئس

الناس منك ، وأعرض الناس عنك ، فلم يطمع فيك منهم طامع ، ولو قد فعل لما نال منك شيئا ، ولم يعطف عليك منهم عاطف ، ولو قد فعل لما نالك منه شيء • والناس مع ذلك لا يرون شيئا من هذا الحصن المؤشب الذى حصنت فيه نفسك ، ولا من هذه الحجب الصفاق التى قامت بينك وبينهم ، ولا من هذه الاستار الكثاف التى ألقيت عليك من دونهم • وانما هم يرونك مصبحا وممسيا ، ويلقونك غاديا ورائحا ، يقولون لك فتسمع منهم ، وتقول لهم فيسمعون منك ، يجاذبونك هذه الاطراف الرثة السخيفة التى يتجاذبها الناس حين يحيون فى البيئة الواحدة ، ويخضعون للنظام الواحد ، ويشاركون فى هذا العيش الذى يعيشه المتحضرون ، فأنت قريب منهم كأشد ما يكون القرب ، تمد اليهم يدك ويمدون اليك أيديهم ، ترد عليهم تحيتهم ويردون عليك تحيتك • وأنت بعيد عنهم كأقصى ما يكون البعد ، تلقاهم وكأنما تحلم بلقائهم ، ويلقونك وكأنما يلقون ظلا لك مستعارا • بينك وبينهم أسباب مصنوعة وصلات متكلفة لا تبلغ النفس ولا تتصل بالقلب ، فهى لا تثير فى عقلك تفكيرا ولا تثير فى قلبك شعورا ، لمكان هذا الحصن المؤشب الذى لا يرى ، ولمكان هذه الاستار والحجب الكثاف التى لا تحس • وما أدرى ، أحاولت قط أن تعرف أم حاولوا هم قط أن يعرفوا طبيعة هذا الحصن المؤشب ، ومادة هذه الحجب والاستار الكثاف • ولكن أنا قد حاولت ، وكتب لمحاولتى النجاح والتوفيق • وأنا أكتب اليك لاعلمك من أمر هذا الحصن ما لم تعلم ، وأعرفك من أمر هذه الحجب والاستار ما لم تعرف ، وما يعنينى ان تنتفع بهذا العلم أو لا تنتفع ، وأن تستفيد من هذه المعرفة أو لا تستفيد • فلو قد أردت أن أنفعك أو أفيدك لخصصتك بهذا الكتاب من دون الناس ، ولكنك ترى أنى لم أرسله اليك ، وانما نشرته فى المجلة لتقرأه أنت أو

لا تقرأه ، وليقرأه غيرك من الناس على كل حال . فمن حق الناس أن يعلموا أن بينك وبينهم حصنا مؤشبا وحجبا صفاقا وأستارا كثافا ، وأن ينظروا لانفسهم، أيطمعون فيك وينتظرون منك الخير ، فيجب عليهم أن يحتالوا فى اقتحام هذا الحصن ، وازالة هـذه الحجب ، وتمزيق هذه الاستار ، أم يستيئسون منك فيجب عليهم أن يخلوا بينك وبين هذه العزلة التى اخترتها أو اختارتك ، وأن يمضوا فى طريقهم ويسعوا الى غايتهم لا يشغلون أنفسهم بك، كما أنك لا تشغل نفسك بهم .

***

فما ينبغى أن يظل الناس من أمرك فى هذه الحيرة المتصلة ، يرونك واحدا منهم ويقدرون أنك متضامن معهم فى حمل أثقـــال الحياة والنهوض بأعبائها ، حتى اذا جد الجد، افتقدوك فلم يجدوك، واذا أنت سراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد عنده الحزن واليأس وخيبة الامل وكذب الرجاء . انهم ينظرون فيرون غنى موفورا ، ونعمة واسعة ، وعيشا لينا ، وثراء عريضا ، وانهم يسمعون فيقع فى آذانهم صوت عذب ممتلىء تشيع فيه القوة وتفيض منـــه الحرارة ، ويحمل الى قلوبهم ألفاظا حلوة رائقة شائقة ، فيها كثير من أمل ، وفيها كثير من وعد ، وفيها احياء للطمع الميت ، وايقاظ للطموح النائم ، واشعار بأن الناس قد خلقوا للتعاون والتضامن ، وليظاهر بعضهم بعضا حين تنوب النوائب ، وليشد بعضهـــم ازر بعض حين تدلهم الخطوب . ولكنهم يستقبلون من أمورهم ما يظلم وما يشرق ، وينهضون من أعمالهم بما يخف وما يثقل ، ويلتمسونك ليستعينوا بك على تبديد الظلمة ، ويبتهجوا معك بجمال النور المشرق، ويستمتعوا معك بحمل الاعباء الخفاف فى فرح ومرح ونشاط ، ويجهدوا معك

بحمل الاعباء الثقال فى صبر وأيد ، وحزم وثبات · يلتمسونك فلا يجدونك ، أو هم يجدونك حين تشرق النعماء ، ويفقدونك حين تظلم البأساء · **أنت شريكهم فى العيش الرضى والحياة المقبلة ، وأنت أبعد الناس عنهم حين يغلظ العيش ، ويعظم لابأس ، وتدبر الحياة· تسرع اليهم حين ينعمون لتشارك فى نعيمهم على أن ذلك حق لك لا ينبغى لاحد أن يردك عنه أو أن يجادلك فيه** ، ولعلك تأخذ من هذا النعيم ـ ان أتيح ـ بحظ أعظم من حظوظهم ، ولعلك تنظر اليهم وهم يأخذون بحظوظهم المتواضعة الضئيلة ، ساخطا عليهم ضيقا بهم ، مزدريا لهم ، ترى أنهم واغلون يشاركون فيما لا حق لهم أن يشاركوا فيه ، ويأخذون مما لا حق لهم أن يأخذوا منه ، ولعلك أن تردهم عن هذا النعيم ان استطعت لهم ردا ، وأن تذودهم عن هذا الصفو ان استطعت لهم ذيادا · وأنت على كل حال تنظر اليهم شزرا ، وتقيم معهم على مضض ، تستأثر من دونهم بالكثير ، وتحسدهم على ما يتاح لهم من القليل· فاذا أدبرت الدنيا وأظلمت الحياة، واكتأب الامل، وجد الجد ، والتمس الناس المعين على ما يلم بهم من شقاء وبأس ، آويت الى حصنك هذا المؤشب ، وألقيت من دونك هذه الحجب الصفاق ، وأسدلت بينك وبين الناس من الاستار الكثاف ، ونعمت بعزلتك نعمة هادئة مطمئنة ، لا ينغصها منظر البؤس ولا يكدرها صـــوت الشكاة ، ولا يشوبها تفكير فى البائسين ، سواء منهم من احتمل البؤس صامتا صابرا جلدا ، ومن احتمل البؤس صائحا صاخبا شاكيا الى الله والى الناس ·

ما طبيعة هذا الحصن المؤشب ، وما مادة هذه الحجب والاستار ؟ وكيف السبيل الى أن يخرجك الناس من عزلتك هذه الراضية ،

لتسعد معهم اذا سعدوا ، وتشقى معهم اذا شـــقوا ، وتشاركهم فى استقبال الحياة حين تشرق وحين تظلم ؟

هذه هى المسألة التى حاولت أن أجد لها حلا ، وأتيح لمحاولتى هذه شىء من التوفيق ٠

ان حصنك هذا المؤشب يا سيدى ، ليس الا قلبـــك المقفل الذى لا ينفذ اليه شعور بالتضامن أو حاجة الى التعاون ، والذى لا تصل اليه رحمة حين يحتاج الناس الى الرحمة ، ولا رفق حين يحتاج الناس الى الرفق ، ولا رثاء حين يحتاج الناس الى الرثاء ٠ انه قلب قد صور من صخر مجوف تستطيع أن تودعه كل ما شئت من أمل لا حد له ، وطمع لا ينتهى الى غاية ، وجشع بشع ليس له قرار ، وشهوات جامحة لا سبيل الى ضبطها ، وطموح لا يحده الا الموت ، ولكنه على ذلك مقفل مصمت من جميع جوانبه ، لا ينفذ الى داخله أيسر الضوء ولا أرق النسيم ، ولا سبيل الى تحطيمه لانه أقسى وأصلب من أن تبلغ منه المعاول ٠ فهو كالحجارة أو أشد قسوة ، وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ٠ **ولكن قلبك لا يتفجر منه نهر يفيض على الناس برحمة أو بر أو مودة أو اخاء ، ولكن قلبك لا ينشق فتخرج منه قطرة تروى ظمأ الظامىء أو تخفف من لوعة المكروب ، قد صور من صخر صلب صلد مصمت من جميع جوانبه ٠** ولم يكفك ما فطر عليه من صلابة وصلادة واصمات ، فوضعت عليه قفلا لا أدرى أقصدت به الى الاغراق فى التحفظ والاحتياط ، أم قصدت به الى التأنق والزينة وكيد الحسود ، **فهو قفل رشيق أنيق ، تراه العين فتمتلىء النفس له اكبارا واعظاما ، ويمتلىء القلب به اعجابا ، وتتقطع الافئدة له حسرات ٠** قفل من ذهب نضار ترصعه ضروب الجوهر والاحجار الكريمة النادرة ، قد صاغته لك الايام فى

كرها والليالى فى مـرها ، فأنت بـه معجب ، ولـه مكبر ، وعليـه حريص ، وأنت مفاخر ، **حينا تظهره حتى يملأ النفوس حسدا وحقدا ، وأنت به ضنين تخفيه حينا حتى تتقطع القلوب تشوقا اليه وتفكرا فيه ، وأنت فى داخل هذا القلب الصلب الصلد المصمت ذى القفل الذهبى المرصع ، هادىء لا تحس اضطراب من حولك من الناس ، وادع لا تسمع اصطخاب من حولك من البائسين** ، قد أغمضت عينيك فلا ترى ما يسوءك ، وقد سددت أذنيك فلا تسمع ما يؤذيك ، وقد ألغيت حواسك كلها أو سخرتها لهواك فلا تحمل اليك الا ما تحب ، وأنت قد تفتح عينيك وأذنيك وترهف حسك ، فترى وكأنك لا ترى ، وتسمع وكأنك لا تسمع ، وتجد غلظ الحياة وقسوتها وكأنك لا تجد شيئا ٠ قد حصنت نفسك بهذا القلب الصخرى الصلب الصلد الذى لاتعمل فيه المعاول ولا ينفذ منه الضوء أو النسيم ، وقد وضعت عليه هذا القفل الذهبى المرصع لتملأ القلوب الاخرى ، التى لم تصور من صخر ، وانما صورت من لحم ودم ، حزنا ويأسا وحقدا وحسدا ٠ وأنت تنظر الى هذه القلوب التى يحرقها الحزن وتمزقها الحسرات فى كثير جدا من التعالى والكبرياء ، وفى كثير جدا من الاحتقار والازدراء ٠ ولعلك تنعم بما ترى من الشر ، ولعلك تسعد بما ترى من البؤس ، ولعلك تقول لنفسك حين تتحدث الى نفسك ، وما أقل ما تتحدث الى نفسك، لقد صرف عنى هذا الشر وعدل عنى بهذا البؤس ، وأريد أن أحيا هذه الحياة الحلوة التى تشتق حلاوتها مما يحيط بها من مرارة ، اللينة التى يستخلص لينها مما يحيط بها من شدة ، الناعمة التى يستصفى نعيمها مما يحيط بها من البأساء ٠

فلأنعم ما دام قد كتب لى النعيم ، ولأسعد ما دامت قد أتيحت لى السعادة ، وليبتئس غيرى وليشـــق ما دام كتب على غيرى البؤس والشقاء ٠

حدثنى ، أليست هذه دخيلة نفسك حين تخلو اليها ، ان خلوت اليها، وحين تشغل عنها بما تستمتع به من لذة ، وبما تجمع من ثروة، وبما تحقق من فوز ؟

أليست هذه دخيلة نفسك التى لا تتحرج من أن تصارح بها حين يجرى الحديث بينك وبين نظرائك ، عما يملأ الارض من بؤس وبغض وشقاء ؟ بلى هذه دخيلة نفسك تخفيها كثيرا وتظهرها قليلا وتشغل عنها بلذتك وثروتك فى أكثر الاحيان ، ولكن انظر ، انك ترى فى الارض أنهارا تجرى وينابيع تفيض ، وانك تستغل هذه الانهار الجارية وهذه الينابيع المتدفقة لتمعن فى لذاتك وتزيد الى ثرائك ثراء ، فهل علمت كيف تفجرت هذه الانهار ؟ وهل علمت كيف انشقت الارض عن هذه الينابيع ؟ وهل علمت أن قلبك ، مهما يكن حظه من الصـــلابة والصلادة ومن الاصمات والقسوة ، لن يستطيع أن يقاوم الاحداث ، ولا أن يثبت للخطوب ، ولا أن يحتفظ بهذا القفل الذهبى المرصع الذى علقته أو علقته لك الايام عليه ؟

ان الحوادث والخطوب تعبث بالقلوب مهما تكن قسوتها ومهما تكن اقفالها • وأن ساعة من الدهر تأتى على هذه القلوب الصـــلبة الصلدة المصمتة القاسية فتذيبها ، أو تحيلها هباء تذروه الرياح •

آنظر ، لقد كانت قبلك قلوب صلبة صلدة مقفلة قد احتسبت من ألوان اللذة والاثم ، ومن ضروب الطمع والجشع ، ومن خصال الاثرة والبخل: ما لا يحصى ولا يوصف • ثم أتت عليها هذه الساعة من ساعات الدهر فذهبت بها وبأصحابها • وهذه الساعة آتية عليك وعلى قلبك فذاهبة بك وبقلبك الى حيث يذهب الناس ثم لا يرجعون •

صدقنى ان من الخير لك ولمن حولك من الناس أن تحدث فى قلبك هذا المصمت المقفل صدعا يسيرا ينفذ منه الضوء ليبدد بعض ما فيه من ظلمة ، وينفذ منه النسيم ليطفىء بعض ما فيه من لظى . وصدقنى ان من الخير الكثير لك ولغيرك من الناس أن تدير مفتاحك الذهبى فى قفلك هذا المرصع ، وأن تفتح قلبك ولو قليلا ليصل اليه بعض ما فى هذا العالم مما يثير الرحمة ، ويشيع الرفق ، ويعطف بعض الناس على بعض .

صدقنى ان من الخير الكثير لك ولغيرك ان تصدع قلبك قبل ان تصدعه الاحداث ، وأن تفتح قلبك قبل أن تفتحه الخطوب ، وأن تشعر من حولك من الناس بأنك تجد بعض مايجدون ، وتعتقد مثل مايعتقدون . انك مثلهم قد خلقت من تراب وستعود الى التراب ، وان الذين يستوون قبل أن يدخلوا الحياة ويستوون بعد أن يخرجوا من الحياة ليسوا فى حاجة الى أن يتمايز بعضهم من بعض ، ويبغى بعضهم على بعض ، فى هذه الطريق القصيرة التى يسلكونها بين المهود واللحود .

كتب للجميع

كتب قيمة بقروش زهيدة

من بعيد

لســـت أدرى ما سؤالك عن هؤلاء النفر من أصدقائنا القدماء ، الا أن تكون نفسك فى حاجة الى شىء من الالم بعد أن أغرقت فى اللذة، والى شىء من الحزن بعد أن أسرف عليها السرور فأنت رجل قد أتيحت لك الحياة النائيـــة الراضية ، وقضت لك الاقدار أن تســـتقبل النهار مغتبطا حين يشرق نوره ، وتستقبل الليل مبتهجا حين تدلهـــم ظلمته ، وتنفـق ما بين اسفار الصـبح واظلام الليل فى عمـل هادىء مريح ، وتنفق ما بين مغرب الشمس وانتصاف الليل فى فنـــون من اللذات تمـــلأ النفوس بشرا، والقلوب حبورا. وكل شىء منتـــه الى

السأم اذا اتصل ، حتى الحياة الراضية ، والنعمة السابغة ، والعيش الهادىء المطمئن ، فلست أنكر منك أن تمل هذا النعيم المقيم ، وتطمع فى الترفيه على نفسك ، بقليل من البؤس يأتيك من بعيد ، وفضل من الحزن يعبر اليك البحر ، ويبلغ نفسك الوادعة الهادئة ، كأنه الصدى الضئيل النحيل، والناس يرفهون على أنفسهم كما يستطيعون، والله يقسم الحظوظ بينهم كما يريد ٠

قوم يتعزون عن النعيم المقيم ، واللذة الملحة ، بالحزن الطارىء ، والالم الملم ٠ وقوم يتعزون عن الشقاء المتصل ، والبؤس اللازم ، بالنسمات الخفاف اللطاف ، يتنسمونها من الشمال والجنوب ، ان أتيح لهم أن يتلقوا نسيم الشمال أو نسيم الجنوب ٠ وفيك والحمد لله جموح وجنوح ، واعوجاج والتواء ، وانحراف عن الجادة حين يطول عليك السير فى الجادة ، وطموح الى الشر حين تتصل عليك صحبة الخير ، ورغبة فى البؤس حين يثقل عليك اتصال النعيم ٠ وعلل نفسك ان شئت بما شئت ، فقل انك غريب تريد أن تتصل بذوى مودتك ، وتتعرف من أنبائهم ما يخفف عليك ثقل الغربة ، وقل انك وفى لا تنسى الصديق ، وقل انك أمين لا تجحد حقوق الاخوان ، وقل انك مؤثر لا تريد أن تنفرد بالسعادة والغبطة ، وأن تشغل بنفسك فى حياتك الجديدة الناعمة ، عن الذين شاركوك فى حياتك القديمة البائسة ٠ قل ما شئت من ذلك فقد يصدقك غيرى من الناس ٠ فأما أنا فقد عرفتك حق المعرفة ، وبلوت من سيرتك ، وأخلاقك ، ومن طبعك ، ومزاجك ، ما يعصمنى من الخطأ فى تقدير ما يصدر عنك ، من قول أو عمل ٠

لست غريبا يسأل عن الصديق ليخفف عن نفسه ثقل الغربة ، ولست وفيا يسأل عن الصديق ليبرهم ويسرهم ويؤذنهم بأنه لم ينسهم ولن ينساهم ٠ ولست مؤثرا يسأل عن الصديق ليشعرهم بأنه لا يريد أن ينفرد من دونهم ، بما أتيح له من الطيبات ، وانما أنت رجل قلق لا يستقر على حال ، سؤوم لا يطمئن الى لون من العيش، طلعة لا يستطيع أن يعيش الا اذا أظهرته الايام على جديد من الامر ،

وأنت بعد هذا كله أثر لا تستمتع بالنعمة التى تتاح لك ، الا اذا عرفت النقمة التى تصب على غيرك ، ولا تسيغ اللذة التى تسعى اليك الا اذا استيقنت أن قوماغيرك يتجرعون من الالم غصصا ، ويلقون منه أهوالا ٠

ولقد قرأت كتابك فسرنى وساءنى، وفى كل شىء يأتى منك ما يسر وما يسوء ٠ سرنى من كتابك أنك طيب النفس ، قرير العين ، رضى البال ، ولست مثلك أحسد الصديق على ما يتاح لهم من الخير ٠ وسرنى من كتابك هذه السذاجة الظاهرة، التى تثير الابتسام، وتبعث الضحك ، وتدعو الى التأمل والتفكير ٠ وساءنى من كتابك انك ماكر تتكلف السذاجة ، وغادر تتصنع الوفاء ، وخبيث الطوية تتعمل طيبة النفس ، وواثق بنفسك الى أبعد حدود الثقة ، تظن أنك وحدك الماهر الماكر ، وأن غيرك من الذين تكتب اليهم أغرار محمقون ، لا يفهمون ما تضمر ، ولا يفطنون لما تريد ٠

وما أريد أن أغير من أخلاقك شيئا ، فليس الى تغيير أخلاقك من سبيل ، ولو تغيرت أخلاقك لضقت بك ، وزهدت فيك، ورغبت عنك، فأنت كما أنت تعجبنى وترضينى ، لانك معقد النفس ، وأنا أحب النفوس المعقدة ، أجد اللذة كل اللذة فى حل تعقيدها ، وكشف ما يصدر عنها من الرموز والالغاز ٠ وقد أحب النفوس السمحة اليسيرة ، وأكلف بما يصدر عنها من الكتب الواضحة الصريحة ، التى تصدر عن القلوب ، لتصل الى القلوب ، والتى تملؤها العواطف الحادة، ويفيض فيها الشعور الدقيق ، لتثير العواطف الحادة ، وتفيض الشعور الدقيق ، وتتيح للقلوب والنفوس ، أن يتصل بعضها ببعض ، فى غير مشقة ، ولا جهد ولا عناء ، ولكنى على ذلك ، لا أكره النفوس الملتوية المعقدة ، التى تقول وتريد غير ما تقول ، وتعمل وتقصد الى غير ما تعمل ، وتدعو الناس الى أن يفكروا فيطيلوا التفكير ، والى أن يرووا فيمعنوا فى الروية ، ليفهموا ما يصدر عنها من قول أو عمل ٠ فعقد نفسك ما وسعك تعقيدها ، والتو بقلبك ما استطعت الى الالتواء به سبيلا ، واكتب الى عن هذه النفس المعقدة ،

وعن هذا القلب الملتوى ، ما شئت من الرموز والالغاز ، فانى موكل بحل الرموز وفك الالغاز ٠

وما أريد بعد هذا أن أبخل عليك بما طلبت الى من أنباء هؤلاء النفر من أصدقائنا القدماء ، فهم على خير ما تحب لهم نفسك المعقدة ، وقلبك الملتوى ، وهم على شر ما تكره نفوسنا السمحة ، وقلوبنا المستقيمة ، من الاحوال ٠ قد رفعتهم أعراض الحياة الى أرقى الدرجات، وانحطت بهم حقائقها الى الدرك الاسفل من الضعة فهم سادة قادة ، يدبرون ، ويقدرون ، ويأمرون ، وينهون ، وينفعون ، ويضرون ٠ وهم عبيد أرقاء ، يملكون من أمور الناس كثيرا ، ولا يملكون من أمور أنفسهم شيئا ٠

ولست أدرى ، أأنت كما عرفتك ، محب للقراءة ، منوع لما تقرأ ، أم أنت قد شغلت بحياتك الجديدة ، عن القراءة وتنويعها ؟ ولست أدرى أقرأت قصة ذلك الفتى الذى أفاق من نومه ذات صباح ، فاذا هو قد مسخ حشرة بشعة قذرة ، كأبشع ما تكون الحشرات وأقذرها ، ولكنه احتفظ على ذلك بحظ من عقل ، فهو يعرف ما صار اليه أمره ، ويشقى به شقاء بغيضا ، وهو يلقى أهله بعد جهد ، فاذا هم محزونون عليه ، منكرون له ، ضائقون به ، وهو يلقى الناس الذين يلمون بأهله بين حين وحين ، فاذا هم نافرون منه أشد النفور ، مبغضون لمنظره أشد البغض ، وهو يعلم هذا كله ، فتتأذى به نفسه ، ويشقى به شقاء لا حد له ، وما تزال الخطوب تختلف عليه ، والاحداث تؤذيه فى جسمه البشع ، ونفسه البائسة حتى يستأثر به الموت ذات يوم ، وقد هان على أهله ، وعلى غيرهم من الناس فلم يحفل به حافل ،ولم يلتفت اليه ملتفت ، وانما كان موته فرجا من حرج ، وسعة من ضيق٠

ان لم تكن قد قرأت هذه القصة فاقرأها ، واستحضر أثناء قراءتها شؤون مواطنيك عامة ، وشؤون هؤلاء النفر من الاصدقاء القدماء خاصة ، فسترى فى كثير من الحزن ان كنت خيرا ، وفى كثير من المرضى ان كنت شريرا، ان كاتب هذه القصة ، كأنما كان ينظر الى

مواطنيك ، والى هؤلاء النفر من أصدقائك ، ويستمليهم قصته هذه البشعة المروعة ، فكل شيء فى حياتنا يذكر بالمسخ ، ويلفت اليه ، ويدعو الى اطالة التفكير فيه . أتذكر ان وطنك العزيز ، قد كان فيما مضى ، وطنا مجيدا يهابه الاقوياء ، ويستظل به الضعفاء ، وطنا خصبا لا يؤثر نفسه بما أتيح له من الخصب ، وانما ينشر النعمة من حوله على غيره من الاوطان ، لا ينشر هذه النعمة المادية وحدها ، وانما ينشر معها النعمة المعنوية التى تغزو القلوب والعقول ، وتمد ضوء الحضارة الى أبعد الآماد ، أتذكر هذا كله ؟ فانظر الى وطنك الآن ، كيف انزوى وتضاءل ، وكيف هان أمره على نفسه ، وعلى الناس ، وكيف أصبح أضعف من أن يستقل بأيسر شؤونه ، وينهض بأهون أعبائه ، وكيف أصبح قليل الخطر ، هين الشأن ، ينظر اليه الناس ضيقين به ، أو مشفقين عليه . أتراه قد مسخ كما مسخ ذلك الفتى ، أم تراه قد ظل كما كان مصدرا للخصب ، والقوة ، والمجد ، والبأس ، ولكن أهله قد مسخوا ، كما مسخ ذلك الفتى ، فأصبحوا لا يصلحون للعيش فيه ، وأصبح هو لا يصلح لايوائهم !

أتذكر هذا البيت الذى يرويه أبو العلاء فى رسالة الغفران :

أعجبى أمنا لصرف الليـــالى مسخت أختنا سكينة فاره

لقد كنا نضحك حين كنا نقرأ هذا البيت ، فأما الآن فلو قد عبرت الينا البحر وشاركت فى الحياة التى نحياها ، لانشدت هذا البيت غير ضاحك ولا باسم ، بل لانشدت هذا البيت كما كان ينشـــده صاحبه ، فى كثير من الحزن والعطف والرثاء لانه كان يعتقد عن يقين أن أخته سكينة ، قد مسخت فأرة ، ولانك سترى كما أرى ، أن كثيرا من اخواننا القدماء ، قد مسخوا جرذانا أو حيوانات أخرى ، ليست أحسن حالا من الجرذان . كل ما بينهم وبين هذه الجرذان من الفرق ، هو أن أجسامهم قد احتفظت بصورها القديمة ، فهى معتدلة القامة ، تمتد طولا وعرضا ، كما تمتد أجسام الناس ، لم يصبها المسخ ، وانما أصاب ما يعيش فيها من النفوس ، وذلك أشد نكرا ، وأعظم بلاء . وأى شيء أبشع من أن تتقمص نفوس الجرذان أجسام الناس !

صنع الله لصديقنا فلان ! لقد كنا نراه ذكى القلب ، أبى النفس ، نافذ البصيرة ، مستقيم الخلق ، طموحا الى الرفيع من الامر ، متنزها عن الدنيات ، خرج من بيئته القديمة المتواضعة ، فمضى أمامه هادئا مطمئنا ، ناظرا دائما الى أمام ، غير ملتفت الى وراء الا قليلا ، كأنما كان يريد أن يتبين طول الطريق التى قطعها ، منذ فارق بيئته تلك ، وكأنما كان يريد أن يعتبر بقديمه ، ليستقبل جديده فى غير غرور ولا كبرياء · وقد استقام له الامر ما مضى أمامه هادئا مطمئنا ، وكان خليقا أن يستقيم له لو أتيح له أن يمضى هادئا مطمئنا ، ولكنه دفع فى غير أناة ، واختطف فى غير ريث ، ووثب الى أرقى مما كان يطيق، فارتقى فجأة فى غير اعداد ولا تمهيد ، وانتهى الى بيئة جديدة ، قد بعدت الآماد ، وتقطعت الاسباب ، بينها وبين بيئته القديمة ، فأصبح أشبه بالديك الذى يوضع موضع النسر ، ويراد على أن يحلق فى أشد الاجواء ارتفاعا ، وليس هو من هذا التحليق فى شىء ، وانما قصاراه شرف متواضع ، يرقى اليه ليستقبل الصباح بالصياح ، ولينفش ريشه كلما أتيح له أن ينفشه · فأما أن يرقى فى أجواز السماء فلا ، لان جناحيه أضعف من أن يبلغا به هذه المنازل المسرفة فى العلو · ولو قد رأيته كما أراه ، ديكا يسير سيرة النسر ، لضحكت قليلا ، وبكيت كثيرا ، فقد كان خليقا بمنزلة أخرى غير منزلة الديك ، وخلق آخر غير خلقه ، ولكن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، وقد أنبت صاحبنا ، فلم يقطع أرضا ولم يبق ظهرا ·

وعفا الله عن صديقنا فلان ، لقد كنا نراه نقى النفس ، طاهر القلب، صافى الطبع ، مصقول الضمير ، حريصا أشد الحرص ، على أن يتبع الصراط المستقيم ، لا ينحرف عنه الى يمين أو الى شمال ، مهما تكن الظروف والخطوب · وكنا نعجب بحبه للاستقامة ، وبغضه للاعوجاج، وكنا نضربه للقصد مثلا ، ونراه للاعتدال نموذجا ·

ولكن طريق الحياة لا تستقيم الا لاولى العزم من الناس ، أو قل انها لا تستقيم لاحد ، وانما يكرهها أولو العزم من الناس على أن تستقيم،

حية وكلب وديك ... هؤلاء هم أصدقاؤنا القدماء

يقتحمون ما يقوم فيها من العقاب ، ويرتفعون عما يعترض فيها من دواعي المحنة والفتنة والفساد · ولم يكن صاحبنا من أولى العزم ، ولا من ذوى البصائر ، وانما كان رجلا طيب القلب ، ومن طيبة القلب ما يكون ضعفا · فقد مضى فى الطريق المستقيمة ما استقامت له ، فلما انحرفت به انحرف معها ، ولم يستطع أن يمتنع عليها، وقد نثرت الحياة أمامه أشواكا فأشفق منها ، ونثرت أمامه أزهارا فتهالك عليها· نشرت أمامه الهول فخاف ، ونصبت أمامه المغريات فاندفع ، وما هى الا أن تتصور نفسه بهذه الصورة المرنة اللينة ، التى لا تثبت لشىء ولا تمتنع على شىء ، وانما هى تجزع للنبأة اليسيرة وتستجيب لايسر المغريات ، تفر عند الفزع ، وتقبل عند الطمع ، والغريب انها على ذلك كله ترى فى نفسها الخير ، وتؤمن لنفسها بالحكمة ، ومضاء العـــزم ·

قيل لها ذلك فصدقته ، واطمأنت اليه ، ولم تنس الا شيئا واحدا ، وهو انها تبعت أحداث الحياة ، وتأثرت بها ، فى غير مقاومة ، حتى أصبحت أشبه شىء بالكلب ، ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث · وأشهد ما رأيت هذين الصاحبين القديمين ، الا رجعت من فورى الى كتاب الحيوان للجاحظ ، فقرأت فيه طرفا من احتجاج صاحب الكلب للكلب ، وطرفا من احتجاج صاحب الديك للديك ·

ورفق الله بصديقنا فلان ، أتذكره ؟ لقد كان فى أول عهـــده بالشباب ، تقيا نقيا ، وسمحا رضيا ، حلو العشرة ، عذب المنطق ، حسن المدخل ، سهل القياد · كنا نضحك من سلامة قلبه ، وبراءة نفسه ، وسذاجة عقله · كنا نغره فيغتر ، وكنا نخدعه فينخدع ، وكنا نضحك من استجابته لكل دعاء ، وتصديقه لكل كلام · ولكن كنا نجهل أن من الحيات ما لا يعيش الا فى كثبان الرمل المتهيلة ، التى لا تتلبد ، ولا تتجمد ، ولا تستطيع الاقدام أن تمضى فيها دون أن تغوص ·

نعم ، وكنا نجهل أن مظهر صاحبنا ذاك ، لم يكن الا كثيبا من هذا الرمل السهل اللين ، الذى تغوص فيه الاقدام ، ويعبث به أيسر

النسيم ، وان فى هذا الكثيب المهيل ، حية تهدأ فتحسن الهدوء ماجنها الليل ، ثم تسعى فتحسن السعى ما أضاءت لها الشمس ، وهى فى أثناء سعيها وهدوئها موفورة السم ، حديدة الناب .. تأزم فتحسن الازم ، ولا يدنو منها أحد ، الا أصابه من سمها حظ موفور .

وانه على ذلك لعذب اللفظ ، لين القول ، حلو الحديث ، خلاب جذاب ، يروق مظهره ، ويروع مخبره ، ويشقى به القريب منه ، والبعيد عنه .

حية وكلب وديك . هؤلاء هم أصدقاؤنا القدماء . فابك ان كنت خيرا ، واضحك ان كنت شريرا ، وارسم على ثغرك ابتسامة حزينة مرة ، ان كنت شيئا بين الخير والشرير ، وثق على كل حال ، بأن أصدقاءنا هؤلاء ، لم ينفردوا بما كتب عليهم من المسخ ، وانما هى محنة عامة ، يمتحن الله بها هذا الوطن البائس فى كثير من بنيه .

وقد تسأل عن مصدر هذه المحنة ، وأصل هذا البلاء ، فاعلم انه الانتقال السريع ، يفسد بعض النفوس ، ويغير بعض الاخلاق ، ثم لا يلبث أن يمضى بخيره وشره ، وأن يرد الشعوب الى حياة ملائمة لطبائع الاشياء ، يكثر فيها الناس الذين يتمقصون أجسام الناس ، ويقل فيها الحيوان الذى يتصور فى صورة الانسان .

أما بعد ، فان فى مدينتك الجميلة حدائق للحيوان ، تستطيع أن تنزه فيها عينيك ، وعقلك ، ولكن حدائقك كلها ، على كثرة ما فيها من الغرائب والطرائف ، ونوادر الانواع ، لن تقدم اليك كلابا ، وديكة ، وحيات ، فى صور الناس ، فاذا لم يشق نفسك وطنك العزيز ، ولم يدفعك الشوق الى الرغبة فى عبور البحر ، فلا أقل من أن يدفعك الى عبور البحر ما يكتظ به وطنك من هذه الطرائف والغرائب والنوادر التى تمرح على ضفاف النيل ، وتستظل بظل الاهرام .

أمقبل أنت لتشهد من قريب ، أم قانع بما يأتيك من بعيد ...؟

من الشعب ...
... والى الشعب
أدب الشعب
٦
كتب للجميع
أدب الشعب
كتاب يصور آلام الشعب فى العهد البائد وآماله فى العهد الجديد
بقلم حيرم العزاوى
كتب للجميع

أتذكر قول زياد رحمه الله فى خطبته المشهورة لاهل البصرة :
« **وايم الله ان لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاى** » ؟

فان هذه الجملة الخالدة لم يعرب بها زياد عن ذات نفسه ، ولا عما كان بينه وبين أهل العراق من صلة ، ولا عما كان قد رسم لحكمه من سياسة عنيفة ، ولا عما كان قد فرض على نفسه من الحزم والعزم فى تدبير أمور الناس وحملهم على الجادة راضين أو كارهين • لم يعرب زياد بهذ الجملة عن هذا كله فحسب ، وانما أعرب بها عن شىء أعم وأشمل من سلطانه ، وأبقى وأخلد من سيرته ، عن شىء يتصل بحياة الناس جميعا ، ويؤثر فى أعمالهم جميعا ، بل فى آمالهم جميعا ، عن شىء وجد منذ وجد الانسان ، وسيبقى ما بقى الانسان ، ولن يزول حتى يرث الله الارض ومن عليها • عبر زياد عن هذا الغرور الذى يدفع الناس الى أن يعملوا ، ويدفع الناس الى أن يأملوا ويفسدوا على الناس أعمالهم وآمالهم ، ويرديهم آخر الامر فى هوة عميقة غير ذات قرار من البؤس واليأس والقنوط •

لست أدرى أيهما استعار من صاحبه هـــذه الجملة الخالدة التى تصور الموعظة البالغة • أترى أن زيادا قد استعارها من الغرور الذى كان يلقيها على الناس وظل يلقيها على الناس فى كل لغة وفى كل بيئة وفى كل عصر ، وفى كل جيل ؟ وأية غرابة فى ذلك فالخطباء

المتفوقون ، والكتاب المبرزون ، والشعراء الملهمون ، تتصل أسبابهم بأسباب المعانى الخالدة ، فيستعيرون منها ما يشاءون ويستهدون منها ما تنطلق به ألسنتهم وتجرى به أقلامهم ، فيبقى بقاء الدهر ، ويتصل اتصال الزمان ، أم ترى ان الغرور كان يعظ الناس كما يستطيع ، ثم أتيحت له هذه الجملة الخالدة من خطبة زياد فاتخذها لنفسه رمزا ، وساق فيها موعظته الخالدة الى القلوب والنفوس والعقول ...

ومهما يكن من شيء فلم يعرب أحد عن حديث الغرور الى نفوس الناس كما أعرب عنه زياد . والغريب ان الناس استمعوا لزياد فامتلأت قلوبهم خوفا وروعا واشفاقا . وأشفق كل امرىء منهم أن يكون من صرعى زياد ، ولكنها أيام أو أسابيع أو شهور تمضى واذا الناس ينسون الخوف فيما ينسون ، ويجهلون الروع فيما يجهلون ، ويعرضون عن الاشفاق فيما يعرضون عنه ، واذا هم يسرعون الى الهول أو يسرع الهول اليهم ، واذا صرعى زياد يكثرون ، تمتلىء ببعضهم السجون ، وتمتلىء ببعضهم القبور ، لان الناس لم يكادوا يسمعون حديث زيادة حتى نسوه . **وهم كذلك يسمعون حديث الغرور الى قلوبهم ونفوسهم وعقولهم ، ثم ينسون هذا الحديث . فيسرعون الى الخطر أو يسرع الخطر اليهم ، ويساقطون فى الشر كما يساقط الفراش فى النار ، ويصبحون من صرعى الغرور وقد حذرهم الغرور مع ذلك أن يكونوا من صرعاه** . ذلك ان الغرور يتحدث الى الناس حديثين مختلفين فيما بينهما أشد الاختلاف . يسوق أحدهما الى ما فى الناس من تهالك وضعف ، والى ما فيهم من طمع وطموح والى ما فيهم من حب للطيبات ، وايثار للعافية ، ونزوع الى ما يرضى الحاجة ويقنع اللذة ، ويتملق الحس ويخادع الشعور ، ويخدع العقل عن حقائق الاشياء .

يسوقه الى استعدادهم للاستجابة للاغراء حين يوجه اليهم الاغراء . يخيل اليهم ان الحياة قصيرة فيجب أن تنتهز ، وانها انما منحت للناس ليحيوها هادئة ناعمة ، ولينة باسمة ، ومشرقة راضية تتحقق فيها الآمال وترضى فيها الكبرياء .

ويسوق أحدها الآخر الى ما نفوس الناس من قوة وجلد وصبر على المكروه وثبات للخطوب ، وتعمق للاشياء ونفوذ الى حقائقها وايمان بأن الحياة لم تخلق عبثا ولم تمنح للناس سدى ، وبأن الفرد لم يخلق لنفسه وانما خلق لمواطنيه ، وان الامة لم تخلق لنفسها وانما خلقت للانسانية ، وان الحياة قصيرة فيجب أن تنتهز لتحقيق النفع ، وتعميم الخير ، وترقية الحضارة ، واقرار العدل . ذلك أحرى أن يمد قصرها ويصل منقطعها ، ويجعل زائلها خالدا ، وباطلها حقا ، والمنقضى منها متصـــلا .

بهذين الحديثين يتحدث الغرور الى الناس دائما ، يعدهم ويمنيهم، ويطمعهم ويغريهم ، ثم يعظهم ويحذرهم ويدعوهم الى الروية والاعتبار .

فأما أكثر الناس فتستخفهم الوعود ، وتزدهيهم الامانى ، وتذهب بأحلامهم الاطماع ، ويعبث بعقولهم الاغـــراء ، واذا هم من صرعى الغرور . وأما أقلهم أو الاقلون من أقلهم فلا يستجيبون للعدة الكاذبة التي تمر بها من دونهم رياح الصيف كما يقول الشاعر القديم ، وانما يملكون على نفوسهم أمرها ، ويصبرونها على ما تحب وعلى ما تكره ، ويوجهونها الى ما يسرت له من الخير فينفعون وينتفعون وينجون من عبث الغرور بهم وتسلطه عليهم ، ويأمنون أن يكونوا من صرعاه .

وابتسم يا سيدى ما شئت أن تبتسم ، وأغرق فى الضحك ما طاب لك الاغراق فى الضحك ، وسل نفسك أو لا تسلها عن هذا الحديث ... ما مصدره وما غايته وما معناه ؟ فليس لهذا الحديث مصدر الا ما أنت فيه ، وليس لهذا الحديث غاية ، الا ما أنت فيه ، وليس لهذا الحديث معنى الا ما أنت فيه . والناس يهنئون أصـــدقاءهم كما يستطيعون ، ويهدون اليهم من التحية ما يملكون . فهذه هى التهنئة التى استطعت أن أسوقها اليك ، وهذه هى التحية التى أملك أن أعرضها عليك ، فاقبلهما ان شئت، وارفضهما ان أحببت . فالله لا يكلف نفسا الا وسعها ، والله لا يحمل الناس على ما لا يطيقون .

أتذكر تلك الايام البعيدة المسرفة فى البعـــد حتى كاد ينساها الزمان، القريبة المسرفة فى القرب حتى ما أستقبل الصباح ولا أستقبل

ولكنها لم تكن تخيفنا ولا تروعنا وانما كانت تدعونا الى نفسها ، لا لنحبها بل لنبغضها ، لا لنبقيها بل لنلغيها ٠

أتذكر تلك الايام ؟٠٠٠ لقد كانت قلوبنا فيها نقية نقاء الشمس ، رخية رخاء النسيم ، عذبة عذوبة الماء الذى صفا ، فلا يشوبه كدر ولا يفسده رنق ٠ **أتذكر تلك الايام ؟** لقد كانت آمالنا نقية نقاء قلوبنا ، رخية رخاء طباعنا ، صافية صفاء أمزجتنا ٠ فى تلك الايام البعيدة القريبة آمنت نفوسنا ، لان الاصلاح وحده هو الذى سيستأثر بها وبما تملك من قوة وجهد ، ومن غير القوة والجهد مما تملك النفوس٠

فى تلك الايام ساق الينا الغرور حديثيه ٠ ساق الينا حديث الاغراء فأعرضنا عنه اعراضا ، وساق الينا حديث الاباء فأقبلنا عليه اقبالا ٠ فى تلك الايام ثبتنا للمكروه وصبرنا على الشر ، وصب علينا الاذى فلم يبلغ منا ، وأطاف بنا الكيد فلم يصل الينا ، وقامت أمامنا العقاب فلم تردنا عن الغاية ، ولم تصدنا عن الطريق :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنهـــا وكأنهم أحـــلام

ما أكثر ما قرأنا هذا البيت من شعر ، وما أكثر ما تمثلنا به حين كنا نسمع أحاديث بعض النـــاس الذين كانوا يستجيبون للغرور فيصبحون من صرعاه ٠ وأقسم ما خطر لى قط انى سأتمثل بهذا البيت ذات يوم حين أقرأ الصحف مصبحا أو ممسيا ، فاذا لسانى ينطق، وما أردت انطاقه ، بقول الاعشى :

شـتان ما يومى على كورها ويوم حيـــان أخى جابـــر

فرحم الله زيادا وتجـــاوز عن خطيئته ٠ أقدر حين ألقى خطبتـــه تلك ، أنه كان يعرب أحسن الاعراب عن حديث الغرور الى أولى العزم من الناس حين قال : « وأيم الله ان لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحـــذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاى » ! ٠

ولكنها لم تكن تخيفنا ولا تروعنا وانما كانت تدعونا الى نفسها ، لا لنحبها بل لنبغضها ، لا لنبقيها بل لنلغيها ٠

أتذكر تلك الايام ؟٠٠٠ لقد كانت قلوبنا فيها نقية نقاء الشمس ، رخية رخاء النسيم ، عذبة عذوبة الماء الذى صفا ، فلا يشوبه كدر ولا يفسده رنق ٠ **أتذكر تلك الايام ؟** لقد كانت آمالنا نقية نقاء قلوبنا ، رخية رخاء طباعنا ، صافية صفاء أمزجتنا ٠ فى تلك الايام البعيدة القريبة آمنت نفوسنا ، لان الاصلاح وحده هو الذى سيستأثر بها وبما تملك من قوة وجهد ، ومن غير القوة والجهد مما تملك النفوس٠

فى تلك الايام ساق الينا الغرور حديثيه ٠ ساق الينا حديث الاغراء فأعرضنا عنه اعراضا ، وساق الينا حديث الاباء فأقبلنا عليه اقبالا ٠ فى تلك الايام ثبتنا للمكروه وصبرنا على الشر ، وصب علينا الاذى فلم يبلغ منا ، وأطاف بنا الكيد فلم يصل الينا ، وقامت أمامنا العقاب فلم تردنا عن الغاية ، ولم تصدنا عن الطريق :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنهـــا وكأنهم أحـــلام

ما أكثر ما قرأنا هذا البيت من شعر ، وما أكثر ما تمثلنا به حين كنا نسمع أحاديث بعض النـــاس الذين كانوا يستجيبون للغرور فيصبحون من صرعاه ٠ وأقسم ما خطر لى قط انى سأتمثل بهذا البيت ذات يوم حين أقرأ الصحف مصبحا أو ممسيا ، فاذا لسانى ينطق، وما أردت انطاقه ، بقول الاعشى :

شـتان ما يومى على كورها ويوم حيـــان أخى جابـــر

فرحم الله زيادا وتجـــاوز عن خطيئته ٠ أقدر حين ألقى خطبتـــه تلك ، أنه كان يعرب أحسن الاعراب عن حديث الغرور الى أولى العزم من الناس حين قال : « وأيم الله ان لى فيكم لصرعى كثيرة ، فليحـــذر كل امرىء منكم أن يكون من صرعاى » ! ٠

التطهير .. وطريقه

- الرشوة
- الفساد
- استغلال النفوذ
- الاختلاس
- الاهمال ..

الطريق الصحيح لعلاجها جميعا

في كتاب

الجريمة والعقاب

بقلم محمد سعيد خضير

النائب الأول في مجلس الدولة

كتب للجميع

تصدر أول كل شهر

نفوس للبيع

لا ترع يا سيدى لا ترع ، فليس فى أمر صديقك ما يدعو الى الروع، لقد وثقت به كما لم تثق بأحد ، واعتمدت عليه كما لم تعتمد على أحد ، واطمأننت اليه كما لم تطمئن الى انسان · ثم نظرت ذات يوم فاذا ثقتك وهم ، واذا اعتمادك هباء ، واذا اطمئنانك غرور ، واذا صديقك الذى أصفيته حبك ، واختصصته بودك ، وأظهرته على سرك ، وأعددته لكل ما يعرض من أمرك يمكر بك ويكيد لك ويتخذك وسيلة الى تحقيق المنافع ، وبلوغ الآراب ·

وماذا تنكر من ذلك وهو شىء يجرى فى كل يوم ، ويحدث فى كل وقت ، صورته الآداب القديمة فأحسنت تصويره ، وعرضته الآداب الحديثة فأحسنت عرضه ، وأنت رجل مثقف قد قرأت من غير شك ما كتب الكتاب ، ونظم الشعراء فى الوفاء القليل والغدر الكثير ، وفى الاخ الذى يمنحك وده ما احتاج اليك ، واعراضه ما استغنى عنك ، وفى الصديق الذى :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

وفى الولى الذى يواتيك ما استقامت لك الحياة ، ويجافيك حين تعرض عنك الدنيا ، وفى الصاحب الذى يرضى عنك ما رضى عنك

السلطان ، ويسخط عليك ما سخط السلطان · كل هذه أوليات قد قرأتها فى الكتب ، وسمعتها فى حجرات الدرس ، وتحدثت بها الى الناس وتحدث الناس بها اليك ، ثم ها أنت ذا ترتاع لانك جربت ما جربه الناس من قبلك ومن حولك ، وبلوت فى ذات نفسك ما بلاه لناس فى كل عصر وفى كل جيل · **أتعرف ما يدل عليه هذا الروع الذى يملأ قلبك ، وهذا الحزن الذى يغمر نفسك ، وهذا البؤس الذى يفعم ضميرك ؟ انما يدل هذا كله على شىء واحد يسير ، أولى لا غرابة فيه ولا مشقة فى فهمه ، يدل على أنك تقرأ الكتب وتشهد الاحداث وترى العبر والمواعظ ، فتزعم لنفسك وللناس انك تنتفع بما تقرأ وما ترى وما تشهد** · وتخيل الى نفسك والى الناس انك تستفيد مما امتلأت به الحياة من التجارب ، على حين انك لم تنتفع ، ولم تستفد ، ولم تصل الموعظة الى قلبك ، ولم تبلغ العبرة دخيلة نفسك ، ولم تؤثر التجربة فى ضميرك ·

فأنت تؤمن بهذا كله ايمانا ظاهرا لا عمق له ولا استقرار ، حتى اذا دهمتك الاحداث وألحت عليك الخطوب وجدتك طفلا قليل التجربة ضئيل الاختبار ، فروعتك كما يراع الطفل لايسر ما يعرض له من الوهـــم ·

فكر كم شيعت من جنازة ، وكم جزعت لفقد صاحب أو أخ أو صديق ، وكم استيقنت فيما بينك وبين نفسك ، وفيما بينك وبين الناس ان الحياة باطل وان الدنيا غرور ، وان الآمال لعب وان الامانى كذب ؟ ثم فكر كيف انجلت عنك الغمرات ، وكيف استقبلت أيامك راضيا عنها ، باسما لها ، مبتهجا بها ، مجاهدا فى سبيل ما تبتغى من المنافع والمآرب كأنك لم تشيع جنازة ، ولم تفقد صديقا ، ولم تتعظ بموت ، ولم تستيقن ان الحياة وما فيها باطل وغرور ·

لا ترع ياسيدى ، لا ترع ، ان فقد الصديق حين يختطفه الموت الى غير رجعة يوئسك من الحياة حينا يقصر أو يطول ، ولكنه لا يلبث أن يرد اليك الامل ، ويملأ قلبك بالامانى ويدفعك الى لعمل ، ويملأ نفسك نشاطا ومرحا ، فكيف بما يعرض لك من فقد الصديق الحى الذى لم يختطفه الموت الى غير رجعة ، وانما اختطفته المنفعة الى رجعة قريبة أو بعيدة · انه يعرض عنك اليوم ، فقد يقبل عليك غدا ، انه يمكر بك الآن فقد يمكر بعدوك بعد حين ، انه يأتمر بك ليؤذيك فى هذه الظروف فقد يأتمر لك لينفعك فى ظروف أخرى ·

خذ الحياة كما هى ، وخذ الناس كما هم ، وقدر أن مما يلائم طبائع الاشياء أن يموت الناس وهم أحياء ، وأن يحيا الناس وهم أموات · انك تأسى لما فقدت من صديقك هذا الذى تنكر لك وائتمر بك ، وألب عليك ، ولكنك تنعم بهذه الذكرى التى تستبقى لك أولئك الاصدقاء الذين اختطفهم الموت فتولوا عنك ، لم يمكروا بك ولم يكيدوا لك ولم يؤلبوا عليك ·

قوم يموتون وهم أحياء فتعز عنهم واصبر عليهم ، فقد ترد اليهم الحياة ذات يوم ، وقوم يحيون وهم أموات فأذكرهم أجمل الذكر ، واستبق حبهم فى قلبك ، وودهم فى ضميرك ، وامنحهم بين حين وحين كلمة خير ودمعة وفاء ·

لا ترع يا سيدى ، لا ترع ، فان هذا الامر الذى يؤذيك ويضنيك ويشق عليك لا يجرى عليك وحدك ، وانما يجرى على غيرك من الناس · أنظر من حولك فسترى نفوسا تعرض للبيع وأخلاقا تعرض للمساومة، منها ما يباع بثمن بخس ، ومنها ما يباع بثمن لا بأس به ، ولكنها كلها تباع على كل حال ·

وما الذى تنكر من ذلك وحياة الناس رهينة بمنافعهم ومآربهم ، وحضارة الناس شىء مكتسب ليس من الضرورى أن يمتزج بدمائهم ويجرى فى عروقهم ، ويصبح لهم مزاجا وطبعا ، وانما هو شىء متكلف لا يؤمن به ولا يؤمن له الا الاقلون · فأما الاكثرون فيتخذونه وسيلة يتقى بها بعضهم شر بعض ، وقد يبتغى به بعضهم شر بعض ·

فكر ان هذه الازمات التى تلح على الناس منذ أول هذا القرن تلقى عليهم دروسا فيها الخوف ، وفيها الاغراء ، فيها اليأس وفيها الرجاء ، فيها انتهاز الفرص وفيها الثبات على الخلق الكريم ·

ان هذه الازمات تعلم الناس أن الحياة قصيرة هينة رخيصة ، فمن الخير انتهازها والانتفاع بها الى أقصى آماد الانتفاع · **هذه الملايين التى أرسلت الى الموت ابتغاء العدوان ، وهذه الملايين التى أرسلت الى الموت ابتغاء دفع العدوان ، وهذه الملايين التى عذبت فى معتقلات الاسر ، وهذه الملايين التى صب الموت والعذاب عليها صبا لا لشىء الا لارضاء حاجة الانسان الى البغى والاثم واللذة البشعة · كل هذه الملايين قد أقامت الدليل للناس على أن الحياة قصيرة هينة رخيصة ،** وأقرت فى نفوس كثير من الناس أن الحزم انما هو فى انتهاز الفرصة واقتضاء المنفعة والاستمتاع باللذة ، مهما تكن النتائج ومهما تكن الظروف · فما الذى تنكر من أن يدعو هذا كله الى اهدار القيم التى ألفتها ، وضياع المقاييس التى نشأت عليها ؟ وما الذى تنكر من أن يتحول عنك الصديق لانهم لا يجدون عندك منفعة ولا مأربا ، أو لانهم يجدون عند غيرك من المنافع والمآرب أكثر مما يجدون عندك ؟

لا ترع ياسيدى ، لا ترع ، فليس فى الامر ما يدعو الى الروع · وانما أنت خليق أن تختار بين اثنتين ، وأن يكون اختيارك عن حزم وبصيرة ، وعن روية وتفكير ، وعن اناة وتحفظ واحتياط · **فاما أن**

انظر من حولك فسترى نفوسا تعرض للبيع ، واخلاقا تعرض للمساومة

تستبقى ما نشأت عليه من خلق ، وما فطرت عليه من مزاج ، فتمتنع على الغواية ، وتقاوم الاثم ، وتصون نفسك من أن تكون سلعة تعرض للبيع والشراء ، وتعصم أخلاقك من أن تكون موضوعا للمساومة ، وما يكون فى المساومة من ارتفاع الاثمان وهبوطها ، واذن فأيسر ما يجب عليك اذا اخترت هذه الخصلة ، أن ترضى بالقليل ، وتقنع باليسير ، وتروض نفسك على غدر الصديق وخيانة الاخوان ، وتحول الرفاق وتنكر الخلان • تلقى ذلك باسما له وساخرا منه ان كنت من أولى العزائم الماضية والهمم العالية ، وتلقى ذلك شـــقيا به محزونا له ، ولكنك تحتمله على كل حال ، ان كنت من الصادقين الذين لم ترتفع نفوسهم الى منازل النابغين والافذاذ • **واما أن تدور مع الزمن وتساير الحياة ، وتنعم حين تساق اليك ، وتعرض نفسك للبيع حين تسنح الفرصة لك ، وتختطف اللذة حين تساق اليك وتعرض نفسك للبيع فتبيعها بالثمن الغالى أن أتيح لك ، وبالثمن الرخيص ان لم تجد بدا من قبول الثمن الرخيص •**

لا ترع يا سيدى ، لا ترع ، فليس فى الامر ما يدعو الى الروع • انك قد اخترت الخصـــلة الاولى الى الآن فلم تزدهك المنافع ، ولم تستخفك اللذات ، ولم يستهوك السلطان ، ولم تبع نفســـك مع البائعين • وقد لقيت فى ذلك كثيرا من الاذى ، وصبرت نفسك فى ذلك على كثير من المكروه ، ورأيت أصدقاءك من حولك تتخطفهم المنافع ، ويصرعهم حب الشهوات •

ثم انك تنظر فى كل يوم فترى نفسك تسرع الى الوحدة أو تسرع الوحدة اليها ، وترى نفسك مقبلا على العزلة ، ممعنا فيها ، اما لان الناس من حولك يضيقون بتحفظك وتزمتك فينصرفون عنك ، وأما لانك تضيق بتهالك الناس وتهافتهم وتساقطهم على المنافع الوضيعة ،

كما يساقط الذباب على العسل أو كما تساقط الفراش فى النار ، فتنصرف عنهم ، وتنشد قول الشاعر القديم :

حى الحمول بجانب الرمل · اذ لا يلائم شكلهـــا شكلى

نعم يا سيدى ، أنت قد آثرت الخصلة الاولى ، فلم تعرض نفسك للبيع ولم تطرح أخلاقك للمساومة · وأنت ترى النفوس من حولك تباع ، وترى الاخلاق من حولك تعرض للمساومة ، فيؤذيك ما ترى، ويداخلك الشك فيما اخترت لنفسك من سيرة وما سلكت بها من طـــريق ·

وما أرى الا أن هذا الروع الذى يملأ اليوم قلبك ويفسد عليك أمرك ، لان صديقك هذا قد تحول عنك وجزاك بالوفاء خيانة وبالبر مكرا وكيدا ، ليظفر بمنصب خطير يغل عليه مالا لم يكن يحلم بأقله ، ما أرى الا أن هذا الروع مظهر من مظاهر الشك الذى يخامر نفسك ويداخل ضميرك · فأنت حائـر لا تدرى أمخطىء أنت أم مصيب ؟ وأنت تسأل نفسك ، ولولا الحياء لسألت الناس ، أعاقل أنت أم مجنـــون ؟

ان المنافع تسعى اليك ، وان الآمال تتراءى لك ، خـلابة جذابـة براقة ، وانك ترى الناس من حولك يسعون الى المنافع ويتهالكون على الآمال ، وانك تهم أن تفعل كما يفعلون ثم ترد نفسك الى الحزم وتأبى عليها الهوان · وما أكره لك هذا الروع ، وما أشفق عليك من هذا الشك ، فلست أحب للرجل الكريم أن تكون كرامته عادة مألوفة وشيئا يسيرا لا مشقة فيه ، وانما أحب له أن يكسب كرامته كسبا ويأخذها غلابا ، ويفرضها على الناس فرضا ، وأن يعرض له الشك فى كل يوم ، فلا يبلغ منه شيئا ، وأن يلح عليه الاغراء فى كل ساعة فلا يلين له قناة ، فهو ناظر لنفسه فى كل لحظة ومدافع عنها

فى كل حين · فجدد الاختيار لنفسك بين الحياة السهلة اليسيرة الحلوة المواتية ، وبين الحياة الصعبة العسيرة المرة المجافية ·

فان اخترت الثانية فنعم الصديق ، وان اخترت الاولى فثق بأنى لن أروع لفقدك ، كما روعت أنت لفقد صديقك · ذلك لانى وطنت نفسى على موت الاصدقاء وهم أحياء ، وعلى حياة الاصدقاء وهم أموات، ولانى أنشد نفسى من حين الى حين هذا الشعر الذى رد معاوية عن الانهزام يوم صفين :

وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى

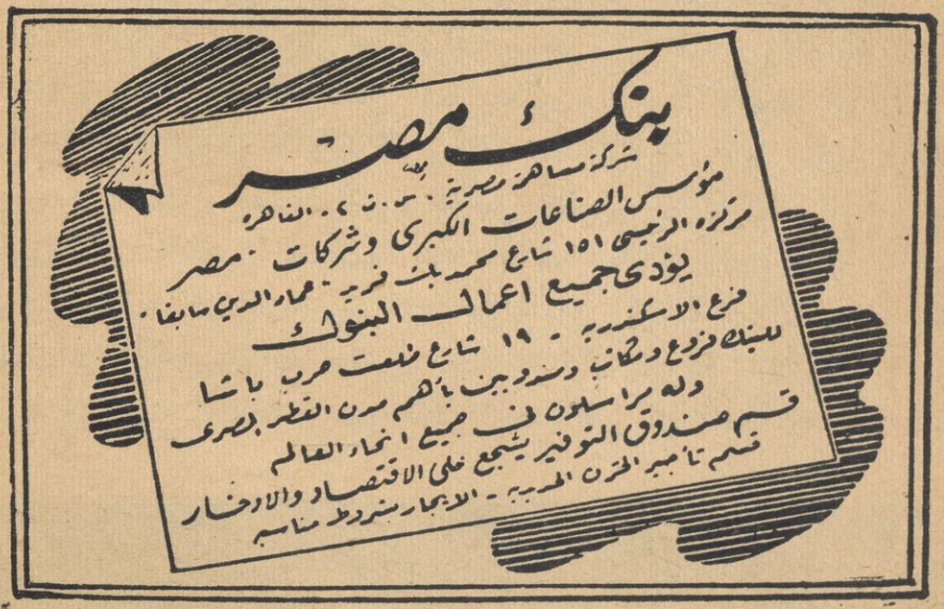

كما أنت

كما أنت أيها الصديق الكريم ، لا تقم ان كنت قاعدا ، ولا تقعد ان كنت قائما ، ولا تتحول عن مكانك الى يمين أو شمال ، ولا ترجع الى وراء ، وانما امض الى أمام ان أحببت المضى ، فانما هو كلام يقال فى كل عصر وفى كل جيل ... قلناه حين كنا شبابا فلم نغير مما كان حولنا شيئا بالقول ، ويقوله الشباب لنا الآن فلا يغيرون مما حولهم شيئا بالقول ، وسيبلغون فى يوم من الايام ما بلغنا من السن ، وسيصلون الى ما وصلنا اليه من المنازل ، وسيقول لهم أبناؤهم وأحفادهم مثل ما يقولون لنا الآن ، ومثل ما قلنا نحن لآبائنا وأجدادنا من قبل ، فلا يغيرون شيئا بالقول كما لم نغير شيئا ، لان تغيير الاشياء لا يكون بالكلام الذى يقال عن اخلاص أو عن تكلف ، وعن تفكير أو عن اندفاع ، وانما يكون بالعمل الذى ينقل الاشياء من طور الى طور ، ويضعها حيث يجب أن تكون .

كما أنت اذن أيها الصديق الكريم ، لا تغير من حياتك ولا من سيرتك شيئا ، بل لا تغير من رأيك فى الاحياء والاشياء الا أن يدعوك التفكير وتضطرك الاحداث وطبيعة الحياة الى أن تغير من رأيك قليلا أو كثيرا .

كما أنت لا تزل عن ثغرك هذه الابتسامة السمحة التى ألفت أن تلقى بها الناس، وما يختلف عليهم من الاطوار وما يلم بهم من الخطوب، ولا تلق على وجهك هذا القناع المشرق الوضاء الذى يزيده العزم اشراقا

والحزم وضاءة ، والذى تلقى به المصاعب مجاهدا لها حتى تقهـــرها وتظهر عليها ٠

ما أكثر ما كان يقال لك مما تحب ومما لا تحب ، وما أكثر ما كنت تسمع لهذا وذاك ، فلا تنحرف عن طريقك حتى تبلغ الغـاية ، ولا تنصرف عما صممت عليه حتى تنتهى منه الى ما كنت تريد ، فما ينبغى أن تنال الالفاظ منك فى هذه الايام ما لم تكن تستطيع أن تناله فيما مضى من الايام ، الا أن يكون الضعف قد أصابك والهرم قد بلغ منك ، فأنت حينئذ مضطر الى أن تريح وتستريح ، لا لان هؤلاء النفر أو أولئك النفر تقدموا اليك فى أن تريح وتستريح ، بل لان طبيعة الحياة نفسها هى التى تفرض عليك أن تريح وتستريح ٠

متى رأيت الشباب يحبون المهل ويصطنعون الاناة ويأخذون أنفسهم بالرفق ؟ ذلك شىء لا يوافق طبائعهم ولا يلائم غرائزهم ولا يتـــأتى لامزجتهم ٠

وقد علمنا ارسطاطليس ، منذ أربعة وعشرين قرنا ، أن الاندفاع أخص خصائص الشباب ، والخير كل الخير فى أن يندفع الشباب ولا يستأنوا ، وفى أن يتحمسوا ولا يفتروا ، وفى أن يغـامروا ولا يحاذروا ، وفى أن يتعجلوا ولا يتمهلوا ، بغير هذا لا تستقيم للناس حياتهم ولا تصلح لهم أمورهم ٠ وقد أنبأنا بيريكليس منذ خمســة وعشرين قرنا بأن الشباب ربيع الحياة ، ومتى رأيت الربيع يستأنى فى نشر جماله على الارض ؟ ومتى رأيت الربيع يتمهل فى اشاعة الحياة والحرارة والنشاط فى الطبيعة ؟ ومتى رأيت زهر الربيع يتردد قبل أن يتفتح ؟ ومتى رأيت الاغصان الخضر تؤامر نفسها قبل أن تطاوع النسيم حين يريد أن يعابثها فتعابثه ، وأن يميل بها فتميل معه حيث يميل ؟ انما يقدم الربيع فجأة على رغم ما يوقت له من المواعيد ، فى المراصد والتقاويم ٠ تصبح ذات يوم أو تمسى ذات يوم ، فاذا الحياة قد اندفعت فى هذه القطعة من الروض فملأتها قوة وفتوة ونموا ، ونشرت عليها زينة وجمالا لم تكن تقدرهما قبل ذلك بأيام ، بل قبل ذلك بساعات ٠ كذلك الحياة كلها تنـــدفع فى ابان الاندفاع

وتستأنى فى ابان الاناة ، ثم يسعى اليها الفتور أو تسعى هى الى الفتور فيدركها الذواء الذى لا يبقى منها الا ذماء يسيرا ثم يصيبها الذبول . ثم يلم بها الحدث الاعظم الذى يجعلها هشيما تذروه الرياح • ونحن نرى ذلك كله يجرى على سجيته ويمضى على اذلاله ، لا نستطيع أن نغير قوانينه ولا أن نقدم أو نؤخر شيئا منه عن موعده المقسوم له • **ونحن نبتهج للربيع حين يقبل ، ونكتئب للصيف حين يلم ، ونبتئس للخريف حين ينثر من حولنا الاوراق ، ونستخفى من الشتاء حين يملأ الجو والارض من حولنا بردا تنكمش له النفوس وتقشعر له الاجسام،** ولكن ابتهاجنا واكتئابنا وابتئاسنا واستخفاءنا لا يغير من مجرى الفصول شيئا • ولو استمع الصيف للربيع لما أقبل ، ولو استمع الربيع للشتاء لما ملأ الارض بهجة وجمالا • فدع الشباب وما يقولون ، وامض أنت لما يسرت له حتى تضطرك الحياة الى الهدوء ثم الى الوقوف، ثم الى السكون والهمود •

كما أنت أيها الصديق الكريم ، لا تتحول عن طريقك فان الحياة لم تحصر فى طريق واحدة ضيقة، وانما انبسطت أمامها طرق لا تحصى، وهى قادرة على أن تسع الاحياء جميعا • والحياة العقلية خاصة أوسع جدا مما يظن المثقفون والمفكرون والمنتجون فى العلم والادب والفن • وقد أفهم أن يقول حزب سياسى لحزب سياسى : تنح لى عن طريق الحكم وانزل عن مناصبه ، فأنا أحق بها وأقدر على تدبيرها منك ، ولكن الحكم ليس هو الحياة ، وانما هو فرع ضئيل جدا من فروع الحياة ، ولعله أن يكون أشدها ضآلة وأهونها شأنا وأقلها خطرا ، ولكن الشىء الذى لم أفهمه ولن أفهمه ، لان أحدا لم يستطع قط أن يفهمه ، هو أن يقول جيل من المفكرين لجيل آخر من المفكرين : كفوا عقولكم عن التفكير والانتاج لاستطيع أنا أن أفكر وأنتج ، وأن يقول جيل من الفنانين لجيل من الفنانين : كفوا عيونكم عن أن ترى لانها قد رأت ما يكفيها ، وكفوا قلوبكم عن أن تشعر لانها قد شعرت بما أطاقت أن تشعر به ، وكفوا ملكاتكم عن أن تنتج لانها قد أنتجت ما وسعها الانتاج ، وأفسحوا لى حتى أستأثر من دونكم باحساس الجمال

والشعور بدقائقه وتصويره ، كما أستطيع أن أصوره أو كما أحب أن أصوره · هذا شيء لم أفهمه قط ولن أفهمه آخر الدهر ، فليس الى فهمه من سبيل · فالكون وما فيه من حقائق ودقائق ، ومن جمال وقبح ، لم يخلق لجيل من الناس دون جيل ، ولم يوقف على فريق منهم دون فريق ، وهو لا يتحدث ولا ينبغى أن يتحدث الى بيئة منهم دون بيئة ، ولا أن يظهر روائعه للشيوخ من دون الشباب ولا للشباب من دون الشيوخ · وانما هو يتحدث الى من يريد ، أو الى من يستطيع أن يسمع له ويفهم عنه ، وهو يوحى الى من يريد أو يستطيع أن يتلقى عنه الوحى · وهو يعرض جماله وقبحه لمن يريد أن يستطيع أن يرى الجمال فيقبل عليه ويدعو اليه ، وأن يرى القبح فيصد عنه ويزهد فيـــه ·

انما الكون آية لمن كان له قلب ·· أو ألقى السمع وهو شهيد · والله لم يخلق القلوب فى صدور الشيوخ وحدهم ، ولا فى صـــدور الشباب وحدهم ، ولم يجعل السمع فى آذان هؤلاء من دون أولئك ، أو أولئك من دون هؤلاء · وما أعرف شيئا يستطيع أن يسع الناس جميعا كهذه الاشياء التى تتصل بالعقول والقلوب ، وما تنتج من آيات المعرفة والفن · والناس يزدحمون ويتدافعون بالايدى والمناكب ويؤذى بعضهم بعضا بهذا الازدحام والتدافع حول مناصب الحكم ومصادر الرزق وموارد المال ، فجائز أن يقول فريق منهم لفريق : دع لى مكانك وافسح لى الطريق ، وجائز أن يكره فريق منهم فريقا على أن يدع له مكانه ويفسح له الطريق ، فأما العلم والادب والفلسفة والفن فانها ميسرة لمن أرادها واستطاع السبيل اليها ، وكان لها ميسرا ، وبهـــا موكلا ، وعليها قادرا ، فلا سبيل الى الازدحام عليها ولا التدافع اليها بالايدى والمناكب ، لانها تسع الناس جميعا ·

واذن فما قول الشباب للشيوخ افسحوا لنا الطريق الى الادب ، أو افسحوا لنا الطريق الى العلم ، أو افسحوا لنا الطريق الى الفن ؟ فان الشيوخ فيما أعلم لا يصدون الشباب عن أدب أو علم أو فن ، وانما يدعونهم اليه دعاء فيه كثير من الالحاح · أليس من الممكن أن

يكون الشيء الذى ينفسه الشباب على الشيوخ ليس هو الادب أو العلم أو الفن ، وانما هو ما قد ينتجه الادب والعلم والفن من اقبال الناس على الشيوخ أكثر مما يقبلون على الشباب ؟ واذن فالامر ينتهى الى ازدحام حول أعراض الحياة الباطلة وأغراضها المادية الزهيدة ، حول الشهرة وبعد الصيت ، وما قد تتيح الشهرة وبعد الصيت من مال قليل أو كثير ، حول غرور الدنيا وزخرف الحياة · فيالها من غاية هينة رخيصة لا ينبغى أن يكون حولها ازدحام ، ولا أن يكون اليها تدافع ، ولا أن تتقطع من أجلها الاعناق ، ولا أن تتمزق فى سبيلها القلوب · ومن حق الشباب على الشيوخ أن يؤدبوهم بما ينبغى أن يؤدب المجربون به من لا حظ لهم من تجربة ، وأن يعلموهم ان الشهرة لا تكتسب لانك تريد اكتسابها · فاذا اكتسبت لذلك فليست هى الا هباء ، وأن المال لا ينبغى أن يؤخذ بغير حقه ، فاذا أخذ بغير حقه فذلك هو الغصب وما يشبه الغصب مما لا يليق بالرجل الكريم · وان غرور الدنيا وزخرف الحياة باطل لا معنى للتهالك عليه ولا للتنافس فيه ، الا أن تفسد القلوب وتصغر النفوس وتقصر الهمم وتفتر العزائم · وان الرجل الكريم خليق أن يعمل ويشق على نفسه بالعمل حين يصبح ، وحين يمسى ، وحين يضطرب مع الناس ، وحين يخلو الى نفسه ، وأكاد أملى ، وحين يستلسم الى النوم ·

فالعمل وحده هو الذى يستطيع أن يرضى القلب الذكى ، ويقنع النفس الكبيرة ، ويزيد البصيرة نفوذا الى نفوذ ، والعزيمة مضاء الى مضاء ، وهنالك تسعى الشهرة الى العاملين وهم أشد ما يكونون زهدا فيها واعراضا عنها ، ويسعى المال الى العاملين وهم أشد ما يكونون ابتذالا له واستهزاء به · وما أقل ما يسعى المال الى أصحاب الجد ، وانما المال موكل بقوم آخرين ليسوا من العمل ولا من الجد فى شيء ، وليسوا من الادب ولا من العلم ولا من الفلسفة ولا من الفن فى شيء ، الا قليلا من الذين يحققون القاعدة ولا يهدمونها ·

نعم ، ومن حق الشباب على الشيوخ أن يؤدبوهم بهذا الادب اليسير الذى توارثته الاجيال وتناقلته العصور ، وهو ان السلامة فى الاناة

وان الندامة فى العجلة ، وان الحياة أشبه شىء بالنهر يجرى ولكن الى غاية ينتهى عندها حين يصب فى البحر العظيم فيصبح ماء من الماء ، وان مياه هذا النهر قد أريد لها أن يجرى بعضها أمام بعض ، لا يتأخر المتقدم منها على المتأخر ، ولا يتقدم المتأخر منها على المتقدم، وانما يجرى بعضها الى الغاية فى اثر بعض • فالشيوخ فى طريقهم الى الراحة الموقوتة أو الدائمة ليس فى ذلك شك ، وليس عن ذلك محيص ، والشباب فى طريقهم الى أن يأخذوا مكان الشيوخ ليس من ذلك بد ، وليس عن ذلك متحول ، والذوق كل الذوق ألا يتعجل الابناء مصارع الآباء ، فمصارعهم محتومة لا مفر منها ، والخير كل الخير أن تقوم الصلات بين الاجيال على المودة والحب ، وعلى التعاطف والبر ، لا على هذا التنافس الذى يحفظ القلوب ويفسد الضمائر، ولا يغير من حقائق الحياة شيئا •

كما أنت أيها الصديق الكريم ، لا تقم ان كنت قاعدا ولا تقعد ان كنت قائما ، ولا ترجع الى وراء ، ولا تنحرف الى يمين أو الى شمال ، وانما امض أمامك حازما عازما ثابت الخطو ، والتفت بين حين وحين الى الشباب مهديا اليهم ابتسام ثغرك ، واشراق وجهك ، وعطف قلبك ، وصفاء نفسك ، وأشر اليهم بين حين وحين : أن اسرعوا ولا تبطئوا ، فليس أشد خطرا على الشباب من التثاقل والابطاء •

مصر بين النعيم والجحيم

أقم حيث أنت يا سيدى ٠٠ لا تبرح الارض ولا تعبر البحر ، فان من ورائه فى مصر هولا هائلا ، وشرا ماثلا ، وبلاء نازلا ، وعذابا أليما، وجحيما قد استقر فيها ، لا تدرى أهبط عليها من أطباق الجو أم صعد اليها من أعماق الارض ٠ ولكنها أصبحت ذات نهار ، أو أمست ذات ليل ، فاذا هو قد اتخذ له فى قرية من قراها وكرا ، لا يعرف متى اتخذه ولا كيف اتخذه ، ولا من أين سعى اليه ٠ ولكنه اتخذ فى تلك القرية ذلك الوكر على كل حال ، ثم لم يلبث أن باض فيه وفرخ ، ثم لم يلبث أن أرسل رسله المنكرة طلائع له فى القرية وما حولها ، ثم أمد الطلائع بطلائع مثلها، ثم اتصلت الامداد وجعلت تزحف فى الشرق والغرب وفى الشمال والجنوب ، حتى غمرت مصر كلها بالنكر المنكر، والوباء المبير ٠

وقد كان المصريون يقدرون فى سابق الازمان وسالف العصر والاوان ، كما يقول أصحاب الاقاصيص ، ان الآخرة هى التى تقذف بالاشرار فى الجحيم وتمتع الاخيار بالنعيم ٠ فقد استبان لهم فى هذه الايام ان فى الدنيا جحيما ونعيما ، ولكنهما لا يختاران أصحابهما وانما يتخطفانهم تخطفا ، ويستبقان اليهم استباقا ٠ فجحيم الدنيا هذا الذى تصلاه مصر ، لا يتخير الاشرار وحدهم ، وانما يلقى شباكه آناء الليل والنهار وهو واثق كل الثقة بأنها لن تعود اليه فارغة ولا خفافا ، وانما تعود اليه ملأى قد أثقلها الصيد ، تصيب من تشاء أو

من تستطيع أن تصيبه من الناس لا يعنيها ولا يعنى ملقيها أن يكون صيدها خيرا أو شريرا ٠

فأما نعيم الدنيا فأثر حذر متحفظ متحرج ، لا ينتخب أصحابه بين أهل الخير وحدهم ، ولا بين أهل الشر وحدهم ٠ وليس هو من الخير والشر فى شىء ، وانما هو نعيم مترف يحب القادرين على الترف ، والمؤثرين له ، والبالغين منه أقصى ما يستطيع الناس أن يبلغوا ٠ وهو من أجل ذلك مقل لا يحب الاكثار ، مترفع لا يحب أن يتسفل الى الدهماء ولا أن يمس العامة بجناح من رفقه ولينه ٠ وهو لا ينتخب أصحابه من أهل المعرفة ولا من أهل الجهل ، وليس هو من المعرفة والجهل فى شىء وانما يجذبه المال اليه جذبا ويعطفه الثراء عليه عطفا٠ فهو مولع بالمال الكثير والثراء العريض ، لا يحب الفقراء ولا يميل الى أوساط الناس ، الذين يجدون فى شىء من الجهد والمشقة ما ينفقون ٠ وانما هو يؤثر بالحب والبر والعطف، الذين لا يكيلون المال كيلا وانما يهيلونه هيلا ، ثم لا ينتخب أصحابه بين الذين أتيح لهم ذكاء القلب وصفاء الطبع ونقاء الذوق ، وليس هو من هذه الخصال كلها فى شىء ، وانما أصفياؤه وأخلاؤه أولئك الذين قد كثر عليهم المال حتى أثقلهم ، وألح عليهم الثراء حتى أسأمهم ، فهم فى شغل بالمال والثراء حين يصبحون وحين يمسون ، وحين يغدون وحين يروحون ، لا يفرغون من العناية بالمال الا ليعنوا بالترف ، ولا يفرغون من العناية بالترف الا ليعنوا بالمال ٠ يحلمون بالمال فى أول الليل ، ويحلمون بالترف فى آخر الليل، وقد يحلمون بالترف حين ينشر الليل ظلمته على الارض، وقد يحلمون بالمال حين يرسل الفجر ضياءه فى الآفاق ٠

هؤلاء هم أصحاب النعيم يقيمون فى مصر الآن على كره منهم ، لان تدبير المال يضطرهم الى أن يقيموا فى مصر ، ولان الاستمتاع بالترف كما يحبون أن يستمتعوا به قد لا يتاح لهم فى غير مصر ٠ ولو قد استطاعوا أن يفارقوا مصر لاتخذوا لانفسهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء ، ويقطعون بها أجواز الفضاء ٠٠ ولكن كيف السبيل الى فراق مصر ، وقد أبيح لاجنحة الطائرات أن تحمل الطائرات الى كل مكان

كل همهم ان يفلتوا من الوباء ما وجدوا الى الافلات منه سبيلا

الا مصر . وقد أبيح لمحركات السفن أن تمخر البحار الا الى مصر . وقد حظر على الطائرات والسفن ، ان ألمت بمصر ، أن تحمل من أهلها أحدا . فقد قضى على المصريين جميعا ، من قدر منهم ومن عجز ، من افتقر منهم ومن استغنى ، أن يقروا فى بلادهم لا يبرحونها ، حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

أما أصحاب الجحيم .. وما أدراك ما أصحاب الجحيم ، فهم الجائعون الضائعون ، والبائسون اليائسون ، والمأزومون المحرومون، الذين لا يحفل بهم أحد ولا يحفلون بأنفسهم . وانما عرفت الدنيا وعرفوا معها أنهم قد أرسلوا الى الارض ، ليتجرعوا فيها الشقاء غصصا ، وليصادقوا فيها الآلام منذ يقبلون على الحياة الى أن يخرجوا من الحياة .

كانوا يعذبون فى نار هادئة مطمئنة تشويهم فى اناة ، وتنضجهم على مهل ، يبرح بهم الجوع ، ولكنه لا يقتلهم ، ويلح عليهم الحرمان ولكنه لا يفنيهم ، وانما يعلقهم بين الموت والحياة . فهم يغدون ويروحون ، وهم يقولون ويعملون ، وهم ينامون ويستيقظون ، ولكنهم فى هذا كله لا يغنون عن أنفسهم شيئا ، ولا يكسبون لانفسهم خيرا ، ولا يردون عن أنفسهم شرا ، ولا يعصمون أنفسهم من مكروه .

واعجب ان شئت أن تعجب .. فقد يستحيل الجحيم الى نعيم، كما يستحيل النعيم الى جحيم . قد يلم الوباء فيلقى فى هذه النار الهادئة المطمئنة من الوقود ما يذكيها ويؤججها ، واذا لهبها يتلظى ، واذا هى تنتشر فى الارض والجو فتحرق فى غير حساب ، واذا الذين كانوا يشوون فى تلك النار الهادئة ، وينضجون على مهل ، ويعلقون بين الموت والحياة ، تتقطع الاسباب بينهم وبين الحياة فى غير اناة ولا ريث ، وتتصل الاسباب بينهم وبين الموت فى غير تمهل ولا رفق . واذا هم لا يعلقون فى منزلة بين المنزلتين ، وانما يلقون الى الموت القاء ، ويتهافتون فيه تهافتا ، فيخفف عليهم بذلك بعض ما كانوا يحملون من أثقال ذلك العيش البغيض .

نعم ، قد يرفق الله بأصحاب الجحيم فى هذه الدنيا ، فيرسل اليهم الموت مسرعا أو يرسلهم الى الموت مسرعين لتتلقاهم رحمته من وراء الموت ، فتجزيهم من بؤسهم فى الدنيا نعيما فى الآخرة ، ومن شقائهم فى الدنيا سعادة فى الآخرة ، ومن جحيمهم الضيق المهلك فى الدنيا جنات واسعة ، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر · **نعم وقد يحيل الله نعيم الدنيا الى جحيم يمتحن به المترفين فيما ألفت قلوبهم من راحة آثمة ، وفيما أحبت ضمائرهم من هدوء بغيض ، فيشغلهم بالحياة عن الحياة ، أو قل يشغلهم بالخوف على الحياة عن الحياة، أو قل يشغلهم بحب الحياة عن الحياة، فاذا هم مولهون مفزعون قد دخل الروع عليهم دورهم وقصورهم ، فملأها ذعرا ورعبا ، ثم اقتحم عليهم قلوبهم وضمائرهم ، فملأها جزعا وهلعا واشفاقا ·· فهم لا يفكرون فى المال ولا فى الترف اذ استيقظوا ، ولا يحلمون بالمال ولا بالترف اذا ناموا ، وانما يفكرون فى الوباء أيقاظا ، ويحلمون بالوباء نياما · كل همهم أن يفلتوا من الوباء ما وجدوا الى الافلات منه سبيلا · فهم من هذا الخوف المتصل الملح فى جحيم ، وهم فى جحيم آخر لعله أن يكون شرا من جحيم الخوف ، هم يجدون فى ضمائرهم ، بل فى أعمق الاعماق من ضـــمائرهم ، حسرة ضئيلة ، ضئيلة ولكنها ملحة ممضة** ، مصدرها أصوات يأتيهم بها الجو من كل مكان ، حتى تأخذهم من جميع أقطارهم ، وحتى لا تصل الى نفوسهم من الآذان التى تصل منها الاصوات الى النفوس فحسب ، وانما تصل الى نفوسهم من كل طريق ··· تصل الى نفوسهم من طـــريق العيون والانوف وسائر الحواس · وكل هذه الاصوات تنبئهم بأنهم يعيشون فى جو من الحسد والبغض والحقد والحفيظة والموجدة، لا ينفقون درهما ولا دينارا الا أحصاه عليهم من حولهم من الناس ، ولا يستمتعون بلذة من اللذات الا سجلها عليهم من حولهم من الناس ، ولا يطعمون طعاما ولا يشربون شرابا ولا يتخذون ثوبا الا تمنى الناس من حولهم لو أتيح لهم أن يشاركوهم فى بعض ما يطعمون ويشربون ويلبسون ·

جحيم من الفقر والجهل والمرض والموت للكثرة الكثيرة من المصريين، وجحيم من الخوف والذعر والبغض والحسد للقلة القليلة من المصريين، وحياة تشبه الاعراف بين هذين الجحيمين ، يحياها فريق من المصريين لم يبلغ بهم الفقر أن يبتئسوا ، ولم يبلغ بهم الثراء أن يترفوا ، فهم مذبذبون بين أولئك وهؤلاء من أصحاب الجحيمين ٠ هذه مصر التى سبقتك اليها منذ شهر وبعض شهر ٠٠ فما تفكيرك فى العودة اليها ، وما حنينك الى أرضها وسمائها ونهرها ٠٠ ان أرضها تنبت الموت فى كل لحظة من لحظات الليل والنهار ، وان نيلها يجرى بالبؤس والظمأ والجوع ، وان سماءها تمطر الوباء أمطارا وتصبه صبا ٠

أقم حيث أنت يا سيدى ٠٠ لا تبرح الارض ولا تعبر البحر ، فان من ورائه فى مصر هولا هائلا، وشرا ماثلا ، وبلاء نازلا، وعذابا أليما٠ الا أن تكون من الذين لا يحبون الدعة حين تتاح لهم ، ولا يحرصون على الامن حين يساق اليهم ، ولا يكرهون أن يلقوا بأنفسهم فى النار لعلهم أن يستنقذوا منها بعض الذين يحترقون وما أدراك من هؤلاء ٠ انما أنت ما علمت محب للدعة ، لا تعدل بها شيئا ، كلف بالترف ، لا تنسى نصيبك منه مهما تكن الظروف ، كاره للمشقة مهما تخف ، مشفق من العناء مهما يكن يسيرا ، محب للمال على علاته لا تزهد فى قليله ولا تسأم من كثيره ٠٠

فما تفكيرك فى العود الى مصر وما حنينك الى أرضها التى أصبحت دارا للجحيم ٠٠ لا تخدعك الامانى ولا تضلك الآمال ، ولا يستهوك قول الذين يقولون ان الوباء موكل بالبائسين من دون الناعمين ، كلف بالفقراء من دون الاغنياء ، فمن مأمنه يؤتى الحذر ٠ ولم يستطع أحد الى الآن أن يرسم للوباء ما ينبغى أن يسلك من طريق ولا أن يحرم على الوباء هذه السبيل أو تلك ٠ فأقم حيث أنت ٠٠ فليس لك فى مصر ارب ان كانت لك حاجة الى الامن والدعة والسلامة ٠ أم تراك مشتاقا الى مجالسك تلك التى كنت تغشاها أيام الامن حين كانت تنوب النوائب وتلم الخطوب ، فتتحدث عما كان وتتنبأ بما سيكون ، وتتندر بما قال هذا وفعل ذاك ، وتشفق مما كتبت هذه الصحيفة

وتسخر مما كتبت تلك الصحيفة ، وتنعم بهذه الحياة الفارغة التى ينعم بها المترفون المتبطلون • هيهات هيهـــات ••• أقم حيث أنت يا سيدى ان كنت تريد العافية وتحرص على السلامة ، فان مجالسك تلك ما زالت قائمة حافلة بما ألفت فيها من اللهو والتبطل والفراغ . ولكن من وراء ما تحفل به من هذا السخف خوفا يملأ القلوب ويفرق النفوس ، وفيهـــا من وراء هذا الخوف تلك الحسرة الضـــئيلة ، التى استقرت من الضمائر فى أعماقها ، والتى تثيرها تلك الاصوات التى تبلغ النفوس من طريق الحواس كلها ، فتنقل اليها أن فى مصر جحيما من الوباء والموت والفقر والجهل والمرض ، وجحيما آخر من الحسد والحقد والبغض والموجدة •

أقم حيث أنت •• لعلك ان تأمن هذين الجحيمين ، وان استطعت أن تمد أسباب الهرب والنجاة لجماعة من أمثالك فافعـــل ، فانهم ليتمنون الهرب ان وجـــدوا الى الهرب سبيلا • فاذا خمـدت جذوة الوباء وانكسرت حدة الشر ، فقد تستطيع أن تعـود الى مصر وأن تستأنف فيها حياة اللهو والتبطل والفـــراغ • فأما الآن فليس الى شىء من ذلك سبيل •

كتب للجميع
تقدم الادب الشعبى الرفيع

لم يدع الاستعمار
وسيلة وضيعة..
إلا وسعى بها ليقضى
على الشعوب
الضعيفة !!
اقرأ عن
رأى المرأه فى الحشيش وأثره فى الجنين ؟
وكيف انتشر وباء الكوكايين ؟
ولماذا قامت حرب الأفيون فى الصين ؟
فى كتاب
الحشيش ممنوع ..!
بقلم مرزوق أحمد

الحرية أولا

تريد أن تنشىء الذوق الفنى المصفى فى نفوس الشباب المصريين ليحبوا الجمال ويذوقوه ، ثم لينشئوا الجمال ويبتكروه ثم ليضيفوا الى فنهم القديم فنا حديثا ، ثم ليشاركوا فى تنمية هذا الترف الفنى العالمى الذى يجعل الانسان انسانا ، ويحببوا الحياة الى النفوس ، ويجعلوا الدنيا شيئا ذا خطر على رغم ما يحيط بها من هذه الظروف البشعة، التى تجعلها أهون على الرجل الكريم من جناح بعوضة ، لولا أن فيها أشياء تتصل بالذوق فتجعل لها قيمة وشأنا ..

تريد أن تنشىء الذوق الفنى فى نفوس الشباب ، ليستقبلوا الحيدة راغبين فيها ، محبين لها ، مؤمنين بها ، لا ليقنعوا بما تتيح لهم من ارضاء الغرائز ، وقضاء المآرب القريبة ، وتحقيق الآمال الوضيعة، بل ليتجاوزوا الحياة الى ما هو أرفع منها شأنا، وأجل منها خطرا، وأسمى منها منزلا، وهو الاستمتاع والامتاع بهذه الثمرات الحلوة التى تجد فيها القلوب راحة ، وتجد اليها النفوس روحا ، والتى تسمو بالناس الى حيث ينظرون الى الحياة مزدرين لها ، ساخرين منها ،

زاهدين فيها ، بعد ان كانوا يحبونها أشد الحب ، ويكلفون بها أعظم الكلف ، لانهم يرونها قد انتهت بهم الى الغاية وبلغت بهم آخر الشوط، فلا عليهم من أن يتركوها ولا عليهم من أن تتركهم ، بعد أن أتاحت لهم ان يستمتعوا ويمتعوا لحظة قصيرة أو طويلة بهذا الجمال الذى لا تؤدى وصفه الالفاظ ، وانما تجد روعته القلوب فتنسى فى ذاته كل شىء ...

ثم تريد أن تنشىء الذوق الفنى فى نفوس الشباب ، ليعرفوا أنفسهم وليقدروا وجودهم وليلقوا من يلقون من الاوروبيين والامريكيين ، فيتاح لهم ان يتحدثوا اليهم ويسمعوا منهم ، وان يفهموهم ما يريدون أن يقولوا ، ويفهموا عنهم ما يقولون ، لا يجدون فى ذلك مشقة ولا عناء ، وانما يجدون فيه راحة ومتاعا ، ولا يشعرون فى أثناء ذلك بما يغض منهم فى أنفسهم ، ويخيل اليهم أو يحقق لهم انهم أقل من الاجنبى الاوروبى والامريكى ، علما بما يجب ان يعلم الناس ، وشعورا بما يجب ان يشعر به الناس ، وتقديرا لما يجب أن يقدره الناس ...

تريد أن تنشىء الذوق الفنى فى نفوس الشباب لتبلغ بهم هذه المنازل كلها ، ولتشعرهم بأن من حقهم ان يعتدوا بأنفسهم ، ويعتزوا بقديمهم وحديثهم ، ويطمحوا الى ما يطمح اليه أترابهم من الشباب فى الامم الراقية الاخرى ، وهو ان يتلقوا عن آبائهم تراثا كريما وان ينموه ويزيدوا فيه ويدفعوه الى أبنائهم تراثا كريما لينموه ويزيدوا فيه ، وأن يحققوا بذلك لوطنهم ما ينبغى أن يتحقق للوطن الكريم من هذه الحياة التى تنمو على مر الزمن وتربو على تعاقب الايام ، وان يحققوا للانسانية ما ينبغى ان يتحقق للانسانية من هذا الرقى المتصل والسمو الممتاز .

تريد أن تنشىء الذوق الفنى فى نفوس الشباب ، وانا أيضا أريد أن أنشىء الذوق الفنى فى نفوس الشباب ، لانى أعلم كما تعلم ان مهمتنا فى الحياة انما هى تنشىء الذوق الفنى فى نفوس الشباب ... على هذه المهمة وقفنا جهودنا ، وفى هذه المهمة أنفقنا حياتنا ، ولهذه المهمة خصصنا ما بقى لنا من حياة . ولكنك تعلم كما أعلم ان

شأننا فى ذلك كشأن أبى العلاء حين تقطعت به الاسباب فى بغـداد، فقال هذا البيت الذى يراه النقاد قريبا غاية القرب ، وتراه أنت وأراه أنا بعيدا غاية البعد :

فيا دارها بالكرخ ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

يرى النقاد ان أبا العلاء لم يزد على أن تغزل كما تغزل الشعراء من قبله ومن بعده ، فذكر دار حبيبته وذكر المصاعب التى تقوم بينه وبين زيارتها ، وترى أنت كما أرى أنا ان أبا العلاء لم يكن من الحب فى شىء، وانما رمز بدار حبيبته الى مطامعه البعيدة وآماله النائية والى تلك العقبات التى تحول بينه وبين بلوغ المطالب وتحقيق الآمال ٠

فتنشىء الذوق الفنى فى نفوس الشباب يسير كل اليسر ، ولكنه على ذلك عسير كل العسر ، وهو قريب كل القرب ولكنه على ذلك بعيد كل البعد ، وأى شىء أيسر وأقرب من أن تمنح الشباب ما ينبغى لهم من الحرية التى تتيح لهم أن يقبلوا ، وان يرفضوا ، وان يحبوا وان يبغضوا ، وان يفعلوا وان يتركوا ، حين يريدون هم لا حين يريد غيرهم ، وغيرهم هذا كثير لا يكاد يحصى ، منه التقليد الموروث الذى يفرض على الشباب أن يفكر ويعبر ويعمل ويشعر ، كما تلقى ذلك عن أسرته وعن بيئته لا كما تريد نفسه ، ولا كما يريد طبعه ان يفكر ويعبر ويشعر ويسير ، ومنه التقليد الاجتماعى المكتسب الذى يفرض عليه أن يحيا كما يحيا الناس ، ويحظر عليه أن ينفرد أو يشذ أو يأتى من الامر ما يكره النظراء والاتراب ٠ ومنه السلطان الذى يشرع القوانين ، قاسية مرهقة مقيدة ، ثم يصطنع فى انفاذها وسائل أشد منها قسوة وارهاقا وتقييدا ٠ حرر الشباب قبل كل شىء ، ولو تحريرا موقوتا من هذه القيود كلها أو بعضها ٠ دعهم يفكروا كما يريدون ٠ دعهم يحيوا كما يريدون ٠ وأرشدهم بالقدوة الصالحة والاسوة الحسنة والنصح الرفيق ٠ وثق بأنك ان فعلت أعددت نفوسهم للذوق الفنى الرفيع أحسن اعداد وأقومه ٠ **انك لتعلم ان الفن حرية قبل كل شىء ، حرية واسعة الى أبعد غايات السعة ، حرية فى نفس المنتج وحرية فى نفس المستهلك** ، كما يقول أصحاب

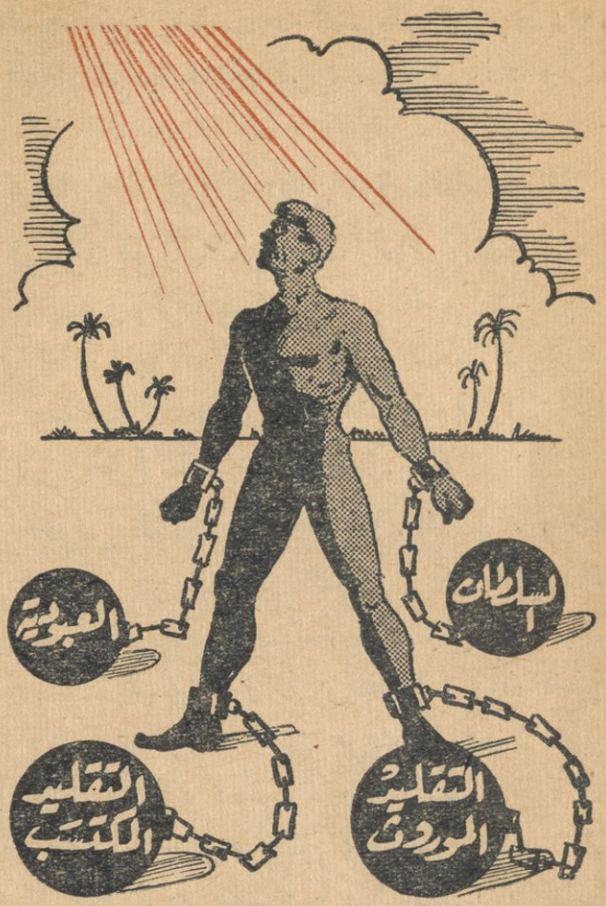

خلصوا الشباب من قيوده

الاقتصاد · خذ من شئت من المبدعين فى الفن واستقص حياته· فسترى انه لم يبدع الا لانه شذ وانفرد وامتاز وخرج على ما ألف غيره من القيود· وليس كل الناس ميسرا للفن · وليس كل الناس قادرا على التفوق والابتكار · ولكن من حق الناس جميعا أن تهيأ لهم الفرص وتمد لهم أسباب التفوق والابتكار · وأول ما يجب لذلك أن يتاح للشباب ، وللشباب خاصة ، وما ينبغى لهم من الحرية التى تفتح قلوبهم وعقولهم وضمائرهم لكل ما فى الحياة من خير وشر، ولكل ما فى الحياة من حسن وقبح، ولكل ما فى الحياة من حب وبغض ، ليقبلوا عن اختيار لا عن اضطرار وليحبوا ويبغضوا عن رضا لا عن اكراه · فاذا لم تتح لهم هذه الحرية ، فلا تبتغ منهم خيرا، ولا ترج منهم نفعا ، ولا تنتظر لهم تفوقا ولا ابتكارا ، وانما انظر اليهم كما تنظر الى الرقيق المسخرين ، والى الحيوان الذى تدفعه غرائزه ويحد من حريته سلطان المستأنسين له المنتفعين به ، فيما يحاولون من المآرب والاغراض · ان الفن حرية لا رق ·· فاذا أردت

من الشباب أن يذوقوا الفن ويسيغوه ويحاولوه ويبتكروه ، فاجعلهم أحرارا · لان الفن أثر من آثار الاحرار لا من آثار العبيد ·

أى شيء أيسر من أن تجعل الشباب أحرارا ·· انك لتريد ذلك وانى لاريده ، ولكن أى شيء أعسر من أن تجعل الشباب أحـــرارا · ان التقاليد الموروثة ، والتقاليد المستحدثة ، وسلـطان الحـــكومة ، وسلطان الجماعة ، وظروف الحياة ، كلها فى هذا الوطن البائس ، تأبى على الشباب أن يكونوا أحرارا ·· فانشـــد معى اذن قول أبى العلاء :

فيا دارها بالكرخ ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

وألتمس من العزائم والطلاسم والتمائم ما يحميك ويحمينى من هذه التهمة الكبيرة الخطيرة ، تهمة الميل الى افساد الشباب · وأى خطر على حياة الشباب فى بلد كمصر ، أشد من أن تلتمس له هذه الحرية التى يستمتع بها الشباب فى غير مصر من البلاد التى ألفت الحرية ، فلم تستطع ان تتسلى عنها ولا ان تزهد فى ثمراتها الحلوة والمـــرة جميعا ·

ثم لا تنس انك لن تمنح الحرية للشباب حين تضع عنهم اصرهم والاغلال التى تثقلهم من التقاليد والظروف ، فقد ينبغى أن يعيش الانسان قبل أن يكون حرا، وقد ينبغى أن يعصم الانسان من الحرمان ليعيش··· فحرر الشباب من البؤس والجوع وهم التفكير، فيما يقيم الاود، وحررهم من الجهل وأتح لهم علما وأدبا وثقافة، ويسر لهم بعد ذلك أن يعيشوا فى جو سمح غير متحرج ولا متزمت ، وخل بينهم وبين الدنيا وما فيها مما يسر ومما يسوء ، مما يحسن ومما يقبح ، مما يلذ ومما يؤلم ، وثق بأنهم سيحسون ويشعرون ، وثق بأنهم سيرضون ويسخطون ، وثق بأنهم سينعمون ويبتئسون، وثق بأنهم سيستقبلون هذا كله بأنفسهم لا من طريق غيرهم ، وثق بأنهم ان استقبلوا الحياة ولذاتها وآلامها وخطوبها وأحداثها ، فسيصورون ما يستقبلون من ذلك وسيعبرون عنه وسيتأثرون به وسيؤثرون فيه ، وسيكون كل واحد منهم انسانا حرا عاملا · وحيثما وجد الانسان الحر العامل ،

وجد الذوق الفنى ووجدت آثار الذوق الفنى من الاستمتاع والامتاع جميعـــا ٠

اذهب الى الجامعة ؟ أشهدت الشباب الجامعيين حين يختلفون الى الدروس ويستمعون الى الاساتذة ، وحين يتحدثون الى أساتذتهـم وحين يتحدث بعضهم الى بعض ، أرأيت فى هذا كله شيئا يشبه ما تعرف من شئون الشباب الجامعيين فى البلاد الاجنبية الراقية ؟ ألم تر الى تزمت الاستاذ حين يلقى الدرس وتزمت الطلاب حين يستمعون له ؟ الدرس عبء ثقيل على الاستاذ يتخفف منه بالقائه فى غير حب ولا كلف ولا ذوق ٠ والاستماع عبء ثقيل على الطلاب يتخففـــون منه ، باحصاء الدقائق وانتظار الجرس الذى يرد اليهم ظلا من الحرية ، ويخلى بينهم وبين الانطلاق الى ما هم فيه من سخف الحديث ، وفيما يتحدث البائسون فى أشياء لا تتصل بالثقافة من قريب أو بعيد ، فى أشياء لا تتصل بالعلم ولا بالفن ولا بالذوق وانما تتصل بصغائر الامور وسفاسفها ٠٠٠ تتصل باللذات القريبة والمنافع العاجلة ، وقد تتصل بالسياسة فلا تمس الا أدناها الى السخف وأبعدها عن الغناء ، تتصل بهذه اليوميات التى لا تقدم ولا تؤخر فى حياة الجماعات ، فاذا تركوا الجامعة فالى الجهود الضائعة والحياة الفارغة ، الى حـرمان المحرومين ، وشقاء الاشقياء ، وصبر الصابرين على المكروه ، ويأس اليائسين حتى من روح الله ٠ فاذا أتيح لبعضهم شىء من اللهو وفضل من المتاع ، فأنت تعلم حيث يلتزمون ذلك ، وأنت تعلم ما يكون بين ذلك وبين الذوق الفنى المترف الرفيع من صلة ، والخير كل الخير ان نطوى الحديث عنه طيا ٠

أذهبت الى مدرسة الفنون الجميلة ؟ أرأيت الى النقش والحفـــر والتصوير وغيرها من الفنون ، تلقى الدروس فيها على الطلاب ، كما كانت تلقى عليهم دروس النحو والحساب يدعوهم اليها الجرس ، ويصرفهم عنها الجرس ، ويشرف عليهم فى أثنائها وفيما بينها نظام دقيق قد رسمت له اللوائح وبينت له الحدود ٠٠٠ فهم يسكنون بمقدار ويتحركون بمقدار ٠ وهم يسكتون بمقدار ويتكلمون بمقدار

ـ مدرسة عسكرية لا أكثر ولا أقل · فكيف تريد للذوق الفنى المترف الرفيع أن ينشأ أو ينمو أو يمتاز فى هذه البيئات التى لم تخلق الا لتقتل الذوق أو لتفسده على أقل تقـــدير ؟ وأى شىء أيسر من أن ترد الى هذه البيئات فى الجامعة ، وفى مدرسة الفنـــون الجميلة ، وفى معاهد التعليم كلها ، شيئا من اليسر والاسماح ومن الدعة والحرية ، لانك تريد ذلك ولانى أريده · ولكن هيهات ··· دون ذلك اللوائح والقوانين والامن والنظام والخوف والاغراق فى الخوف · **نفوس الشباب المصريين أشبه شىء بهذا العفريت الذى حبسه نبى الله سليمان فى قمقم مطبق من النحاس الصفيق ، وختم عليـــه بخاتمه وأمر به فألقى فى أعماق البحر** كما يحدثنـــا بذلك القاص فى ألف ليلة وليلة · وأجسام الشباب المصريين هى هذه القماقم المطبقة الصفيقة ، الا أنها ليست من نحاس وانما هى من لحم ودم · والفرق بين هذه النفوس السجينة فى قماقمها وبين ذلك العفريت ، هو ان العفريت وجد الصياد الذى استخرج قمقمه من أعماق البحر ، وفض عنه خاتمه ، ورفع عنه غطاءه ، وأتاح للعفريت أن يحدث عهدا بالهواء والنور والحرية ·

فالى أن تجد نفوس الشباب المصريين هذا الصياد الذى يخرجها من قماقمها، ويرد اليها الحرية، ويخلى بينها وبين الهواء والنور والجمال، تستمتع به وتتمتع به الاجيال ··· الى أن يوجد هذا الصياد تستطيع أن تتحدث عن الذوق المترف الرفيع ، وعن تنشيئه فى نفوس الشباب كما تشاء ·

الحب ليس عارًا!
فلا تنكره
ولا تخجل منه
أصول الحب
لابن حزم
يقدمه
الدكتور فائق الجوهري
كتب للجميع
واعرف
كل شيء عنه
في كتاب
أصول الحب لابن حزم
يقدمه
الدكتور فائق الجوهري

ويل الشجى من الخلى

عن أية عاطفة صدرت ياسيدى حين كتبت الى كتابك هذا الذى تلقيته منذ أيام ، فلم أدر ماذا أصنع به ولم أدر ماذا صنع بى ! فلو قد استجبت للعواطف الاولى التى أثارها فى نفسى ، لمزقته تمزيقا ، أو لحرقته تحريقا ، أو لالقيته فى سلة المهملات كما يقول الذين يتبذلون فى الحديث · ولكنى أكره أن أستجيب للعواطف حين تجيش ، وللغضب حين يثور · فلم يثر فى نفسى الا ما أثاره أثناء القراءة الاولى من الغضب والحفيظة والموجدة ·

ويل الشجى من الخلى ·· انك لرجل ناعم البال ، قرير العين ، مطمئن القلب ، هادىء النفس ، مستريح الضمير · تكتب الى قوم ليس لهم من هذا كله حظ قليل أو كثير · فهم مروعون مفزعون ، قد شمل القلق نفوسهم ، وملأ الحزن قلوبهم ، وشاعت الكآبة فى ضمائرهم ، حتى ضاقوا بالحياة وضاقت بهم الحياة · وشتان ما حال المقيمين فيما وراء البحر ، تبتسم لهم الشمس المشرقة ويبتسمون لها ، ويحنو عليهم الليل الهادىء ويطمئنون اليه ، لا تشغلهم بين ذلك أحداث النهار ولا خواطر الليل ، وانما هم يستقبلون حياة رائقة شائقة ، قد فرغوا فيها لانفسهم وفرغت فيها أنفسهم لهم · فهم يمرحون ويفرحون ويسرحون ويروحون ·· قد أمنوا كل كيد ، واعتصموا من كل مكروه ·

ولست أزعم ان الحياة من حولك هادئة راضية وناعمة باسمة ، فان الهدوء والرضا والنعيم والابتسام أمور لا تتاح الان لكثير من الشعوب . ولكنك تعيش غريبا فيما وراء البحر ، قد بعدت عن وطنك فلم تشارك أهله فيما يجدون من البؤس والشقاء، ومن الخوف والاشفاق ، ومن القلق والاضطراب . وبعدت عن مضيفيك لانك غريب بينهم ، لا تشاركهم فى ألم ولا أمل ، ولا تشاطرهم نعيما ولا شقاء . وانما أنت قريب منهم بعيد عنهم ، تنعم بما عندهم من نعيم ، وتتجافى عما عندهم من بؤس وشقاء .

فأنت الرجل الحر الطليق ، وأنت الرجل الموفق السعيد ، يأتيك المال كثيرا موفورا من مصر ، ويأتيك النعيم كثيرا موفورا من فرنسا، لانك تقدر بالمال المصرى الذى لا يجده أكثر المصريين ، على أن تحصل من النعيم الفرنسى ما لا يجده أكثر الفرنسيين . فأنت ناعم على رغم المصريين والفرنسيين جميعا . يستخرج لك المال المصرى من شقاء مواطنيك . ويستخرج لك النعيم الفرنسى من شقاء مضيفيك .. وأنت مع ذلك ساخط على ما يجرى هناك . تنكر المصريين لانهم لم يبلغوا فى رقيهم المادى والعقلى ما بلغ الفرنسيون ، ولانهم لا يستطيعون أن يوفروا لك من وسائل الترف والدعة والامن ما يوفره لك الفرنسيون .

وأنت من أجل ذلك تهجرهم وتهاجر من أرضهم ، وتكتفى منهم بأن يزرع الزارع ، ويصنع الصانع ، ويجوع الجائع ، ويبتئس المبتئس ، ويشقى الشقى ، لتجتمع لك ألوف من الجنيهات تتبعها ألوف ، ولتحول لك هذه المقادير الضخمة من المال ، تنفقها فيما يحب الله وما لا يحب من وسائل الترف .. ومواطنوك فى شظف من وسائل الراحة والنعيم ، ومواطنوك فى عناء وشقاء .

وتنكر الفرنسيين لانهم لا يخضعون للسلطان كما يخضع له مواطنوك ، ولا يستكينون للقوة كما تعودت أن ترى الناس يستكينون لها من حولك فى مصر ، ولا يعبدون عجول الذهب كما تعودت ان ترى الناس يعبدون عجولا ذهبية كثيرة على ضفاف النيل ، كما

يقول جوت ـ ان أتاح لك الفراغ والعبث ان تقرأ ما قال جوت · ولكنك مع ذلك تسعى الى فرنسا كلما أمكنتك الفرصة ، وتقيم فيها ما طابت لك الاقامة · يكفيك من أهلها أن يأخذوا منك مالك الذى شقى المصريون ليرسلوه اليك ، وان يعطـــوك نعيمهـــا الذى يشقى الفرنسيون ليتيحوه لك ·

ولو طلب اليك أو أبيح لك أن تتمنى ، وأن تعرب عمـــا تتمنى ، لتمنيت وطنا يجمع بين ما تحب من الرقى المادى والعقلى الذى تعجب به فى فرنسا، ومن خصال الخضوع للسلطان والاستكانة للقوة وعبادة المال التى تعجب بها فى مصر ، ويبرأ من هذه الخصال التى تنكرها هنا وهناك ، وطنا يلائم حبك لنفسك وايثارك لها بالخير كل الخير ، وازورارك بها عن كل ما يكره أو يشق أو يسوء · ولكن أرح نفسك من هذا العناء ، وأعفها من هذه الامانى الكاذبة التى لن تتحقق ، لان تحقيقها شىء ليس اليه سبيل · فحيثما وجد الرقى العقلى والمادى الذى تحبه ، وجد النزوع الذى تكرهه وتنكره الى الحرية الحـرة التى لا تبيح لاهلها خضوعا ولا استكانة ولا اذعانا لسلطان المال · وحيثما وجد الانحطاط المادى والعقلى الذى تكرهه ، وجد الاذعـان والخضوع والاستكانة وعبادة المال والفناء فى الثراء ، الى غير ذلك من الخصال التى تعرفها وتألفها وترضاها من مواطنيك ·

فأنت بين اثنتين ياسيدى ليس لهما ثالثة ·· اما أن تعيش فى مصر كما نعيش ، مواجها ماتنكر من الضعف والقصور والتقصـير والانحطاط ، محاولا كما نحاول اصلاح ذلك ، واما أن تعيش فى فرنسا مستمتعا بما يتوق اليه جسمك من هذا النعيم المادى الفارغ، والى ما قد يطمح اليه عقلك من هذا النعيم المعنوى الخصب ، محتملا ما تعيب على الفرنسيين من طموحهم الى الخير ، ونزوعهم الى الحرية، ومطالبتهم بالحق ، والتجائهم أحيانا ما يغيظك ويحفظك من مظاهر التمرد والغلو فى الاضراب ، وحرمانك بين حين وحين هذه اللذة أو تلك من لذات الجسم والعقل · فأنت ترى هذه اللذات حقا لك ، لا ينبغى ان ترد عنه ولا ان تجد مشقة فى الظفر به ، متى شئت وكيف

شئت . والفرنسيون يرون مثل ما ترى ، ولكنهم لا يؤثرونك أنت وأمثالك بهذا الحق من دون عامتهم . وانما يريدون ان يظفروا به كما تظفر به ، وان يحصلوا عليه كما تحصل عليه ، متى شاءوا وكيف شاءوا ، وألا يذودهم عنه ذائد من فقر أو جهل أو مرض ، ومن ظلم أو بغى أو طغيان .

فاختر لنفسك يا سيدى . وقد اخترت فأحسنت الاختيار .. فأنت لا تعيش فى مصر لانها لم تبلغ من الرقى العقلى والمادى ما تحب . ولكنك تستغل مصر لانها ترسل اليك المال الكثير الذى تشترى به النعيم الكثير . وأنت لا تعيش فى فرنسا لان أهلها لا يخضعون ولا يخنعون ولا يقنعون . وانما تقيم فيها اقامة الغريب تستمتع بخيراتها ولا تحمل مع أهلها شيئا من التبعات . انت تحيا على هامش مصر ، ولكنك تستمد حياتك من صميمها . وأنت تحيا وتنعم على هامش فرنسا ، ولكنك تستمد حياتك ونعيمك من صميمها . يشقى المصريون والفرنسيون جميعا لتحيا أنت وتنعم بالحياة ، ثم لا يجد أولئك ولا هؤلاء منك معونة حين تنزل بهم النوازل ، أو تلم بهم الخطوب ، لانك قد تركت مصر بجسمك وعقلك جميعا ، وتركت فرنسا بجسمك وعقلك جميعا أيضا ، وان أقمت فيها وأطلت الاقامة لان اقامة الغريب فى وطن لا تحمله من تبعات المواطنين شيئا .

لقد اخترت ياسيدى فأحسنت الاختيار فيما ترى .. عشت على هامش الوطنين ، واستمددت حياتك وسعادتك من صميم الوطنين . **ورضيت لنفسك هذه المنزلة ، منزلة الطفيلى الذى ليس هو من أولئك ولا هؤلاء ، ولكنه على ذلك يستغل جهد أولئك وهؤلاء . وليس كل الناس قادرين على أن يرضوا لانفسهم ما رضيت لنفسك ، وليس كل الناس يستطيعون أن يكونوا على هامش الحياة فى أوطانهم أو فى مهاجرهم** . فانعم ان شئت بحياتك هذه التى آثرت بها نفسك ، ولكن لا تنكر على غيرك من الناس أن يعيشوا كما يحبون . وأنظر الى الحياة ان شئت على انها متاع عابث ، أو عبث ممتع . ولكن لا تنكر على غيرك من الناس ان ينظروا الى الحياة على انها جد وكد ، واحتمال

انك تحيا على هامش مصر ، ولكنك تستمد حياتك من صميمها

للاثقال ، ونهوض بالاعباء ، ومحاولة للنفع ، وسعى الى الخير ، وجهاد فى سبيل الاصلاح ٠

أفهمت الان لماذا تلقيت كتابك ، فهممت أن أمزقه أو أحرقه أو أهمله ؟ غاظنى ما فيه من سخر بمصر لانك لا تستطيع ان تجد فيها الفنادق التى تجدها فى فرنسا ، ولا تستطيع ان تجد فيها الملاهى التى تختلف اليها فى فرنسا ، ولا تستطيع أن تزور فيها المتاحف الفنية الرائعة الكثيرة التى تزورها فى فرنسا ، ولا تستطيع ان تنعم فيها بمثل ما تنعم به فى فرنسا من ضروب اللهو وألوان المجون وفنون النعيم ٠

وغاظنى سخطك على فرنسا لان العمال يضربون فيها فيكثرون الاضراب ، ويضيعون عليك من لذاتك المباحة والمحظورة ما أنت حريص على تحصيله ، ولان الاحزاب تختلف فتسرف فى الاختلاف وتختصم فتغلو فى الخصومة ٠ وينشأ عن ذلك ما ينشأ من الاضراب والاضطراب والمظاهرات ، وتردد الفرنك بين الرفعة والضعة وبين الغلاء والرخص ٠ ويؤثر ذلك كله فى حياتك المادية بما يحدث فيها من العسر ، وفى حياتك العقلية والشعورية بما يحدث فيها من الخوف والشك والقلق ٠

ولكن ما رأيك فى ان مصر فى حاجة اليك والى أمثالك ليستنقذوها من ضعفها ، وليبلغوا بها هذا الرقى الذى تحبه وتتمناه ٠٠ فعد اليها واعمل فيها واعمل لها ، وامنحها وقتك وجهدك ومالك ان استطعت ، ولكنك لن تستطيع ٠٠فدعها اذن وما هى فيه ، ودع أهلها وما هم فيه ، انك لا تستطيع ان تمنحهم معونة ولا حولا ولا قوة ، تحول الاثرة بينك وبين ذلك ٠٠ فأرحها منك وأرح نفسك منها ٠ خذ ما ترسله اليك من المال ، ولا ترسل اليها مكانه سخرية واستهزاء ٠

وما رأيك فى أن فرنسا لم تخلق لك ولا لامثالك من الطارئين النازحين الذين يأكلون وينكرون وينعمون ويعيبون ٠ وانما خلقت لنفسها وأهلها قبل أن تخلق لغيرها من البلاد ، وقبل ان تخلق

لغير أهلها من الناس . فخذ منها ما تقدم اليك من ضروب اللهو والمتاع ، وأد اليها ثمن هذا كله من المال الذى ترسله اليك مصر ، وارض عن نفسك وانكر على فرنسا ان شئت ، ولكن اخف انكارك واجعله شيئا بينك وبين ضميرك ولا تتحدث به الى الفرنسيين ، ولو قد فعلت لالقوك فى غيابات السجن القاء ، أو لنفوك من الارض نفيا. لا تتحدث الى ، فانى لا أحب الذين يأكلون وينكرون وينعمون ويسخطون . وانى بعد هذا كله أعجب أشد الاعجاب وأقواه بما أجد فى الفرنسيين من هذا النزوع الى الحرية والطموح الى الكمال والتوثب الى الخير .

ويل الشجى من الخلى ، وويل العاملين من الكسالى، وويل الجاهدين من القاعدين .

أرح نفسك من الناس وأرح الناس منك ، وافرغ لحياتك الفارغة . واذا لم تجد بدا من الكتابة الى ، فاكتب الى بما يرضينى ولا يؤذينى ، فانى لست منك ولا من حياتك الفارغة فى شىء .. وأنا أهدى اليك مع ذلك تحية فيها من الرثاء لك أكثر مما فيها من السخر منك .

كتب للجميع

أوسع الكتب العربية انتشارًا

مصر تتطلع إلى محمد مجدي سعيد

اقرأ الكتب
التي رسمت الأوطان الجديدة للشعوب السعيدة
في كتاب

أرض الأحلام

للدكتور زكي نجيب محمود
أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة

كتب للجميع
٦ قروش

لا ونعم

انشئت حدثتك بما يرضيك ، فللصديق عند صديقه كل ما يحب · وان شئت حدثتك بما يؤذيك ، فللصديق عند صديقه بعض ما يكره · والناس يخطئون حين يظنون ان الصديق لا ينبغى ان يلقى من صديقه دائما الا ما يسره ويحبره · فالصداقة نصح وليس النصح حلوا دائما · وما أرى الا أن الصداقة أشبه شيء بالفلسفة ، فى رأى أفلاطون ·· لا تخلص للحلاوة الحلوة ، ولا تخلص للمرارة المرة · وانما هى شيء بين ذلك يحلو ويمر ، ولعله يحلو ويمر فى وقت واحد·

فلك عندى اذن ما يسرك ، ولك عندى اذن بعض ما يسوءك · ولقد رضيت عنك أمس كل الرضى فى أول الضحى ، وسخطت عليك أمس كل السخط حين أوشك النهار أن ينتصف · ولقد هممت أن أطوى عنك ما أرضانى وما أسخطنى جملة ، أو أن أطوى عنك ما أرضانى وما أسخطنى حتى ألقاك ، فنستأنف ما تعودنا أن نستأنف من الحديث الحر السمح كلما التقينا · ولكنى أشفقت ان لقيتك ألا أصارحك بما فى نفسى من لوم لك ووجد عليك ·· فأنت رجل حلو المحضر ، عذب الحديث ، خلاب جذاب ، ماهر الجد ، حلو الدعابة ، تشغل محدثيك بمحاسنك الكثيرة عن عيوبك القليلة ، وتلهيهم بالاستماع لك والاعجاب بك عن التحدث اليك ، فكيف بالعتب عليك · ولقد سألت نفسى وأطلت سؤالها ، وتستطيع أنت أن تسأل نفسك وتطيل سؤالها · فما رأيت وما أحسبك سترى انى واجهتك قط بملامة أو عتاب · انما أواجهك دائما بالثناء والتقريظ وبالاكبار والاعجاب ·· فان أنكرت منك شيئا طويت عنك انكارى فى أكثر الاحيان ، وكتبت اليك ببعضه فى أقل الاحيان ·

فخذ كتابى هذا على أنه من الكتب القليلة التى أرسلها اليك ٠ فلا تكاد تتلقاها حتى تعلم انها تحمل اليك لوما أو عتبا أو نكيرا أو دعابة لا تخلو من مرارة مرة ٠ وقد أنبأتنى بأنك تتلقى هذه الكتب فتضيق بها أول الامر وتتثاقل عن قراءتها ، ولكنك على ذلك تضعها منك غير بعيد ، وتختلس اليها نظرات فيها الرغبة وفيها الرهبة ، فيها الطمع وفيها الخوف، وتمد اليها يدا تقدم لتحجم، وتنبسط لتنقبض ، ثم تندفع مغامرة فتفض الغلاف فى عنف يكاد يفسد ما وراءه ، ثم تلتهم عينك ما فى الكتاب التهاما ٠ فاصنع بهذه الرسالة ما تعودت أن تصنع بأمثالها أو تعجل قراءتها ، فأنت وما تريد من ذلك ٠ ولكنى واثق بأنك ستجد فيها اخاء الاخ العطوف ، ووفاء الصديق الحميم ٠ ومهما تثقل عليك قراءتها الاولى ، فستخف عليك قراءتها الثانية ، لانى أعلم أنك ستقرأها مرتين ٠ ولعلك ان تقرأها أكثر من مرتين ٠ لقد كنت رائعا أمس فى أول الضحى مروعا فى آخره ٠

***

كنت رائعا حين كنت تتحدث الينا عما امتازت به نفس غاندى من العزة السمحة والاباء الوديع ، وحين كنت تحدثنا بأن جمال الحرية، وجلال الكرامة ، وروعة العزة والاباء، خصال يظهرها اللين أكثر مما يظهرها العنف ، ويجليها الامن أكثر مما يجليها الخوف ، لانها لا تستكمل خصائصها الا حين تظهر متحضرة مترفة مجلوة من كدر الغرائز ووضر الطبائع الغلاظ ٠

والعنف يخرج الانسان عن طوره ، ويرده حيوانا لم تهذبه الحضارة ، ولم يصف طبعه أدب أو فن ، ولم ينق ضميره علم أو فلسفة أو دين ٠ فحرية الانسان العنيف فى أوقات السلم والحرب ليست من الحرية الصحيحة فى شىء ٠ وانما هى الغرائز المندفعة والطبائع الجامحة والثورة المدمرة التى لا تبقى على شىء، وليس يعنيها أن تبقى على شىء، لانها لا تصدر عن قلب ذكى، ولا عن ضمير نقى ، ولا عن عقل رفيع نفاذ ٠ انما هى شىء يشبه عصف الريح ، وقصف

الرعد ، وهياج البركان · فاما الحرية الحرة حقا ، الحرية الخصبة المنتجة ، الحرية الرائعة التى لا تكاد تظهر حتى تملأ القلوب شعورا والنفوس نورا ، فهى هذه الحرية المروية المستبصرة التى تتأثر بالتفكير والذكاء حتى كأنها هى التفكير والذكاء · وكنت تحدثنا بأن الانسان الكامل فى حريته وعزته وابائه ، يمكن أن يختصر كله على ما فيه من عسر وتركيب وتعقيد فى كلمة واحدة قصيرة يسيرة ، ولكنها على ذلك شاملة خطيرة ، وهى كلمة « لا » ·

وكنت تقول ان كلمة « لا » هذه كنز لا يفنى ، وليس الى فنائه سبيل ، لان حول الانسان من ضروب الترغيب وألوان الاغراء والدعاء ما لا سبيل الى احصائه ، ولان ما يلائم عزته وكرامته من هذا كله أقل من القليل · فالانسان الحر الكريم هو الذى يستطيع أن يقول بقلبه وضميره وعقله ولسانه : « لا » ·· يقولها لكل ما يدعوه أو يغريه أو يرغبه فيما لا يلائمه من عمل أو قول أو سيرة أو تأثر أو تأثير · يقولها حين تدعوه المائدة الى أن يأكل أكثر مما ينبغى ، أو الى أن يشرب أكثر من طوقه ، ويقولها حين يدعوه الجمال الى فتنة الحس ، ويقولها حين تدعوه القوة الى الطغيان والبطش والظلم ، ويقولها حين يدعوه الضعف الى الاستكانة والاذعان والذل ، ويقولها حين يدعوه الثراء الى الطمع والجشع والبخل ، ويقولها حين يدعوه الاعدام الى السؤال والالحاف والسرقة والمكر ، يقولها حين يدعوه السلطان والجاه الى الاثرة والاستئثار والمحاباة ، ويقولها حين يدعوه التفوق والامتياز الى الاستكبار والغرور · وكنا نستمع لك معجبين بك ، وقد اتصلت عقولنا بعقلك ، وقلوبنا بقلبك ، وتعلقت نفوسنا بشفتيك · وما أرى الا أنك قد أخذت ترضى عن نفسك وتعجب بها ، حين بلغت من قراءة رسالتى الى هذا الموضع ، ففيك شىء من الضعف للثناء عليه ، يدعوك الى شىء من العجب والتيه حين تحس الاعجاب بك والرضا عنك ·

وما أرى الا أنك قد وضعت الكتاب حين بلغت منه هذه الجملة ، فاستأنيت شيئا ، ومددت بصرك أمامك ، كأنك ذاهل بعض الذهول·

ثم انحرفت الى يمين ، فألقيت نظرة سريعة خاطفة على هذه المرآة التى تقوم غير بعيد من سريرك ٠٠ فأنت تقرأ كتابى هذا فى غرفة نومك ، لانك لا تخرج منها الا بعد أن تفرغ من الصحف ، وتقرأ ما يحمل اليك البريد ٠ ثم أنت تعود الى الكتاب فتقرأه من أوله ، تريد أن تتذوق ما فيه من ثناء عليك وتقريظ لك ، كأنك تجد فى هذه القراءة المعادة ، أو كأنك تستمد من هذه القراءة المعادة ، شجاعة تعينك على المضى فى الكتاب الى آخره ، وعلى استقبال ما ينتظرك فيه من ملامة وعتاب ٠

كنت اذن تحدثنا ، فتروعنا بألفاظك العذبة ، ومعانيك الساحرة ، وفطنتك البارعة ، وعقلك النافذ الى أعماق الحياة ٠ ولكن التليفون يدعوك ، فلا تكاد تستجيب لمن يتحدث اليك من أقصى الخيط حتى يضعف صوتك بعد قوة ، ويلين بعد شدة ، ويتهالك بعد امتناع واباء ٠ وقد عرفنا مما سمعنا من كان يتحدث اليك من أقصى الخيط، فكدنا ننكر ولكنا لم نفعل ، وانما أحسنا بك الظن ، وقدرنا انه حسن العشرة وجمال الادب ورقة الحاشية وترف الذوق ٠ ومضيت فى حديثك عن كلمة « لا » هذه ، تبين لنا تصويرها لحرية الفرد ، وتبين لنا تصويرها لحرية الجماعة ، وتبين لنا تصويرها لحرية الشعب ، وتوازن بينها وبين كلمة « نعم » حين تكثر منها نفس الفرد ولسانه ، فيتورط فى الموبقات التى تضنيه ، وحين تكثر منها نفوس الجماعات وألسنتها فتتعرض للذلة والهوان ، وحين تكثر منها سيرة الشعب فيتعرض للظلم والاستبداد ، وحين تكثر منها سيرة الحكومات فتتعرض للعدوان والاستعمار ٠

وأنت تضرب لهذا كله الامثال من حياة المصريين ، ومن حياة غير المصريين ، فيما كان من أمرهم ، وفيما هو كائن ٠ وأنت تتمنى علينا ان نعلم المصريين كلمة « لا » وان نذيعها فى بيئاتهم مهما تختلف، وفى طبقاتهم مهما تتفاوت لعلهم ان يجمعوا عليها فتسلم لهم حريتهم وكرامتهم ، ولعل حكومتهم ان تؤمن بها ، وتنطق بها ، وتصر عليها ، فتسلم لمصر سيادتها واستقلالها ٠

ولكن حاجبك يقبل فينبئك بمقدم الوزير . واذا أنت تخف فى غير اناة ، وتسرع فى غير وقار . وينظر جلساؤك اليك مسرعين . ثم ينظر بعضهم الى بعض متباطئين متسائلين . ثم تثور فى نفوسهم وقلوبهم خواطر متباينة وعواطف متناقضة لست فى حاجة الى أن أجلوها لك أو أعرضها عليك . فقد قلد أكثرهم سيرتك ، فخف فى غير اناة وأسرع فى غير وقار . واذا أنتم جميعا تهرعون لاستقبال الوزير . وصدق أقلهم مقالتك فتمهل واستأنى ولبث فى مكانه . حتى اذا أقبل الوزير قام فى أدب ، وتلقى تحيته فى احتشام ، وردها اليه فى ظرف ، وعاد الى مجلسه فى وقار .

وأنت تذكر بعد ذلك ما كان من سيرتك وسيرة جلسائك مع الوزير ، وما كان من سيرة الوزير معك ومع جلسائك ، منذ أقبل الى أن انصرف . وأنت تذكر ما كان من خفتكم لتشييعه فى غير أناة ، ومن اسراعكم الى مرافقته فى غير وقار ، ومن عودتكم بعد ذلك وعلى ثغوركم ابتسام خير منه العبوس ، وفى وجوهكم اشراق خير منه الاظلام . ولكن فى ألسنتكم انعقادا أفصح من الكلام ، لان قلوبكم كانت مستحيية ، ولان ضمائركم كانت مستخذية ، ولان غشاء رقيقا من الكآبة الفاترة كان يقوم دون عقولكم ، فيمنع نورها ان ينفذ الى خارج ، ويمنع نور الحياة والحرية أن ينفذ اليها . **والحمد لله على أن قلوبكم ما زالت شاعرة تجد الحياء ، وعلى أن ضمائركم ما زالت نقية يظهر فيها كدر الاستخذاء ، وعلى أن عقولكم ما زالت صافية تغشاها الكآبة بين وقت ووقت ، حين ترى مالا يجمل بكرام الناس .** فليس يجمل بكرام الناس ان يحبوا كلمة « لا » اذا خلوا الى أنفسهم وان يقولوا « نعم » اذا لقوا أصحاب الجاه والسلطان . وليس يجمل بكرام الناس ان يتحدثوا حديث الاحرار ويسيروا سيرة العبيد ، وليس يجمل بكرام الناس أن يناقضوا الى هذا الحد بين ما يعتقدون فى دخائل نفوسهم وأعماق ضمائرهم ، وما يظهرون من سيرتهم حين يعاشرون أمثالهم من الناس . فالوزير ياسيدى رجل مثلك مهما يكن حظه من القوة والسلطان . ومهما يكن حظه من الذكاء والحذق ،

ومهما يكن حظه من التفوق والنبوغ ... هو رجل مثلك ، خلق من تراب وسيعود الى تراب ، يأكل كما تأكل ، ويشرب كما تشرب ، وينام كما تنام ، ويستيقظ كما تستيقظ ، ويسعى بين الناس كما تسعى أنت بين الناس ، ويخلو الى نفسه كما تخلو الى نفسك ... فحقه عليك كحقك عليه ، لا ينبغى ان ينقص ولا ينبغى أن يزيد .

استغفر الله ، بل حقه عليك أقل جدا من حقك عليه ، لانك قد نصبته لخدمتك ، وكلفته النهوض ببعض أمرك وأجرته على ذلك أجرا يقبضه فى كل شهر ، حين يأخذ مرتبه هذا الضئيل ويقبضه فى كل يوم وفى كل ساعة وفى كل لحظة ، يستمتع بما تحيطه به الدولة من مظاهر السلطان والجاه .

فأما هو فلم ينصبك لشىء ، ولم يكلفك شيئا ، ولم يأجرك على شىء ، وليس له عندك الا ما للانسان عند الانسان من الرفق الرفيق ، والمعاملة الكريمة ، والادب الجميل . ولعمرى لئن عجزت عن أن تمسك على نفسك اباءها أمام وزير ، أنت شاركت فى جعله وزيرا ، لتعجزن أشد العجز وأشنعه حين تغريك المغريات، وتخوفك المخوفات .. وما أكثر ما فى حياة الناس ، وفى حياة أمثالك خاصة ، مما يغرى ويخيف . وعزيز على أيها الصديق الكريم أن أسوءك بقول أو فعل ، ولكن الصداقة نصيحة قبل كل شىء ، ولم ينصح لك من أبدى لك ما يسرك ، وأخفى عليك ما يسوءك .

فاستقبل أمرك ذكيا نقيا أبيا ، واجتهد فى أن ترى نفسك كما أراها ، فتعرف منها مثل ما أعرف ، وتنكر منها مثل ما أنكر . واذا تعلقت على بما تنكر من أمرى ، فافرض على نفسك من النصح لى والعنف بى ، مثل ما أفرض على نفسى فى ذاتك .

وأذكر أن قوما كانوا فى الدهر يصنعون الاصنام ليعبدوها ، وان الزمن قد تقدم وتقدم وأصبح مما لا يلائم كرامة الناس أن يصنعوا الوزراء ليقدموا اليهم الطاعة والخضوع .

الحمار الذي أراد أن يركب صاحبه توما !

قال حمار الحكيم "توما" :
متى ينصفني الزمان فأركب .
فأنا جاهل بسيط ، أما صاحبي
فجاهل مركب ... !

اقرأ الفرق بين الجاهل البسيط والجاهل المركب

في كتاب : حمار الحكيم

بقلم توفيق الحكيم

عدد ممتاز

كتب للجميع

كتب للجميع

تقدم العلم في قصة لترضى الجميع

وزارة الصحة العمومية

تقبل عطاءات بادارة لمخازن بالعباسية بالقاهرة لغاية الساعة العاشرة تماما من صباح :

يوم ١٩٥٣/١٠/٢٠ لتوريد الات أمراض الانف والاذن والحنجرة وأمراض النساء .

يوم ١٩٥٣/١٠/٢٢ لتوريد الكيماويات وأصناف المعامل الزجاجية .

يوم ١٩٥٣/١٠/٢٤ لتوريد الامصال والطعوم .

يوم ١٩٥٣/١٠/٢٥ لتوريد الادوية الثقيلة .

وتطلب استمارات العطاءات من ادارة المخازن بالعباسية نظير دفع ٣٠٠ مليم للنسخة الواحدة من المناقصة الاولى و٥٠٠ مليم للنسخة من الثانية و٢٠٠ مليم للنسخة من الثالثة و٦٠٠ مليم للنسخة من الرابعة وتقدم الطلبات على ورقة دمغة من فئة خمسين مليما .

٥٥٣٧

مدير عام أقسام مجارى مدينة القاهرة
(رقم ٤ شارع الانتكخانة ـ القاهرة)

تقبل عطاءات لغاية ظهر يوم ١٠/٨ ١٩٥٣ لفتح المظاريف عن عملية العقد رقم ٥٨٠ عمل بالوعات لمياه السطوح لمدينة القاهرة وضواحيها والجيزة ـ ويمكن الحصول على صورة من المواصفات وشروط العطاءات من مكتب عموم المخازن بشارع الملكة رقم ١٠ بالقاهرة مقابل دفع مبلغ ٢ جنيه (لا يرد بأى حال) بخلاف ٢٠٠ مليما رسم البريد وتقدم طلبات شراء المواصفات على ورقة تمغة فئة خمسين مليما وللمصلحة الحق فى تجزئة أو الغاء العطاء اذا رأت ذلك (وتقدم التأمينات باسم السيد مدير عام مجارى بلدية لقاهرة) ولا يلتفت الى العطاءات غير المصحوبة بالتأمين المؤقت الكامل .

٥٥٨٢

وزارة الحربية
سلاح الاسحة والمهمات

تقبل عطاءات بادارة العقود والمشتريات بسلاح الاسحة والمهمات بالمعادى لغاية الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم ١٩/١٠/١٩٥٣ عن توريد كستور فانلة ـ قماش قطن مشمع بنى وسط ـ قماش كتان ـ لباد سرج ـ خرطوم قماش ـ ووتر بروف ـ قماش تيل للكبود فوطة صفراء . ويمكن الحصول على الشروط مقابل مبلغ ٣٥٠ مليما يضاف اليه مبلغ ٥٠ مليما أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما .

٥٥٤٢

وزارة الحربية والبحرية
ادارة الخدمات الطبية

تقبل عطاءات بادارة الخدمات الطبية (قسم العقود) بكوبرى القبة لغاية الساعة ١٢ من ظهر يوم ١٩٥٣/١٠/١٤ عن توريد الغازات والغيارات اللازمة للقسم الطبى عام ١٩٥٣ من ١٩٥٤

ويمكن الحصول على الشروط والمواصفات من القسم المذكور مقابل مبلغ ٢٥٠ مليما يضاف اليه مبلغ ٤٠ مليما أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة دمغة من فئة الخمسين مليما

٥٥٨٤

وزارة الصحة العمومية

تقبل العطاءات بادارة مخازنها بالعباسية بمصر لغاية الساعة العاشرة تماما من صباح ٢١ أكتوبر سنة ١٩٥٣ عن مناقصة الاثاثات الصلب .

٢٢ أكتوبر سنة ١٩٥٣ عن مناقصة الاسرة ولوازمها .

وهى لازمة للسنة المالية ١٩٥٣/١٩٥٤ وتصرف قوائم هاتين المناقصتين من أدارة المخازن المذكورة نظير دفع مبلغ ٢٥٠ مليم لكل منهما بموجب طلب على ورقة دمغة فئة خمسين مليما للنسخة الواحدة بخلاف أجرة البريد .

٥٥٣٨

صحائف الأنباء

فى أى أنباء مصر تريد أن أكتب اليك أيها الصديق الكريم ؟ فيما يرضيك ويلهيك ، أم فيما يؤذيك ويضنيك ·· فعندى وعند كل مصرى من هذه وتلك أطراف · أمرنا فى ذلك كأمر غيرنا من الناس فى غير مصر من البلاد · فعند كل انسان مهما يكن ، ومهما يكن بلده ، أنباء تسر وتلهى وأنباء أخرى تسوء وتؤذى ، لان حياة الناس كلهم فى عصورهم كلها وفى أوطانهم كلها مزاج من الجد والعبث ، ومن الخير والشر ، ومن اللذة والالم ، ومن الحزن والسرور ·

فى أى أنباء مصر تريد أن أكتب اليك اذن ؟ أما ان كنت راضى العيش ، ناعم البال ، مطمئن القلب ، فقد ينبغى أن أكتب اليك فى أنباء مصر التى تحزن بعض الحزن ، وتنغص بعض التنغيص ، ليعادل ما تحمل اليك من المساءة بعض ما أنت فيه من المسرة · وأما ان كنت ضيق النفس ، كئيب الضمير ، محزون القلب ، فقد ينبغى أن أكتب اليك فيما يسليك ويلهيك ، لتجد فيما يلقاك من ذلك راحة تخفف ما أنت فيه من حزن ، ورضا يردك الى ما ينبغى لك من اعتدال المزاج·· ولكن لا أعرف من أمرك شيئا ، وقد انقطعت رسائلك عنى منذ شهر وبعض شهر · ورسائلك لا تنقطع الا حين تشغلك السعادة أو حين يشغلك الشقاء · فأنت رجل تؤثر نفسك بما يتاح لك من الخير وبما يعرض لك من الشر ، ولا تفكر فى أصدقائك ولا تكتب اليهم الا حين تفرغ من السعادة والشقاء جميعا ، وتضطر الى هذه الحياة الهادئة

التى تضيق بها وتضيق بك ، فتتسلى عنها وتسليها عنك بالتفكير فى الاصدقاء والسعى الى لقائهم ان كانوا قريبا منك ، والكتابة اليهم ان نأت بهم عنك الدار ٠

فأنت فى هذه الاسابيع الكثيرة التى لم تصل الى فيها رسائلك، مشغول عنى وعن غيرى بنعمة سيقت اليك أو نقمة صبت عليك ٠ وأنا من أجل ذلك حائر فى أمرك وأمرى ، أخشى أن تكون سعيدا فيشغلك كتابى عن سعادتك ، وأخشى أن تكون شقيا فيكون فى تأخير الكتابة اليك شىء من التقصير فى ذاتك والتفريط فيما ينبغى لك من الحق على ، ان نابتك النوائب أو ألمت بك الملمات ٠ وما أكره أن تستأثر بما يتاح لك من الخير لانى أحبك ، وما أريد أن تستأثر بما يعرض لك من الشر لانى أشفق عليك ٠ فخذ كتابى اذن كما هو وانظر فى أوله ، فان كنت سعيدا فدعه حتى تفرغ من سعادتك أو تفرغ منك سعادتك ٠ فليس من هذا بد ، لان سعادة الناس فى هذه الحياة سحابة صيف لا تظل الا لتنقشع ولا تلم الا لتزول ٠ وان كنت شقيا فاستعن به على دفع ما يغشاك من الشقاء ٠

***

وفى أنباء مصر والحمد لله ما يسلى المحزون عن حزنه ، وينغص على السعيد سعادته ، ويدعو الرجل العاقل الاريب الى اطالة التروية والامعان فى التفكير ٠

لقد بعد عهدك بمصر أيها الصديق الكريم ، وطال فراقك لها ، وقد جدت فيها أمور وحدثت فيها أحداث ، غير تلك الامور وهذه الاحداث التى تنقلها اليك الصحف التى تصدر حيث تقيم والتى تأتيك من حيث نقيم نحن ، لان الصحف لا تنقل من الاحداث والانباء الا ظواهرها ٠ فأما حقائقها ودقائقها وأسرارها ومصادرها ، فليست من الصحف فى شىء ، وليست الصحف منها فى شىء ٠ وما أكثر الانباء التى تروى فى الصحف قد رواها الكتاب عن غير فهم ، وقرأها القراء عن غير فهم أيضا ، وتحدث بها المتحدثون وذهبوا فى تأويلها المذاهب عن غير فهم كذلك ، لانهم عرفوا ظواهرها وجهلوا حقائقها ، ولان

الصحفيين لا يكتبون التاريخ ، تعجلهم عن ذلك مهنتهم التى تضطرهم الى الاسراع ، والى النظام ، والى أن يملأوا صحفا بعينها فى أوقات بعينها ، لا أن يسبقوها ولا ينبغى ان يتأخروا عنها • فهم معجلون مهما يتمهلوا ، وهم مسرعون مهما يستأنوا ، وهم مقصرون مهما يتكلفوا من البحث والاستقصاء •

وقد قرأت فى الصحف ونقل اليك الناقلون من غير شك ان فى مصر نظاما مبتكرا لا يعرفه بلد من بلاد الارض ، وهو توكيل الشرطة بالجامعات ومعاهد العلم تحرسها حين يسفر الصبح ، وتحرسها حين يظلم الليل ، وتحرسها بين ذلك حين تستوى الشمس فى كبد السماء ، وحين يبسط الظلام سلطانه الرهيب على الكون • وزعم لك بعض الصحف ، وقال لك بعض القائلين ، ان هذا النظام المبتكر البديع قد أريد به الى حصار الجامعات ومعاهد العلم ، حتى لا ينفذ اليها أحد من غير أهلها ، مخافة أن يشغل الجاهلون طلاب العلم عن علمهم • وزعمت لك صحف أخرى ، وقال لك قائلون آخرون ، ان هذا النظام المبتكر البديع انما أريد به الى حماية الجاهلين الغافلين من المتعلمين المتنبهين ، مخافة أن ينتشر الجامعيون والمثقفون فى الارض ليملأوها شرا بعد أن ملئت خيرا • وقال لك أولئك وهؤلاء ان فى هذا النظام المبتكر البديع عبثا بالحرية وتضييقا على الناس فى حياتهم ، **فبين الجامعيين والمتعلمين وبين الجاهلين والغافلين صلات يجب أن ترعى وعرى يجب ألا تنفصم ، صلات الابوة والبنوة والاخاء، وصلات الرحم والقرابة والمودة** • وكل هذه خصال لا ينبغى أن تقطع لان الله أمر بها أن توصل ، فهذا النظام شر ، وهذا النظام نكر ، وهذا النظام بغيض الى آخر ما قيل والى آخر ما سيقال ، ما دام هذا النظام المبتكر البديع قائما ، وما دام الصحفيون يكتبون عن غير استقصاء ، وما دام الناس يقولون بغير علم ، ويخوضون فيما لا يحسنون الخوض فيه ، ودعنى أستعر من أبى العلاء بيته المشهور :

غدوت مريض العقل والدين فالقنى
لتسمع أنباء الامور الصحائح

وأنا أعلم انك لن تسعى الى لقائى ، لانك تؤثر غـربتك وتألف ما أنت فيه من كسل · فأنا أسعى الى لقائك بهذا الكتاب ، لاسمعك أنباء الامور الصحائح عن رغبة منك فيها أو انصراف منك عنها ، فما أحب لك ان تجهل مع الجاهلين وتخطىء مع المخطئين · وقد علمت ان مصر ما زالت سباقة الى الخير ، نفاذة من المشكلات، حلالة للالغاز، فقد استكشفت مصر فى هذه الايام الشداد ان العلم ينفع ويضر ويحسن ويسىء ، ينفع اذا استأثر به العلماء الذين يحسنون فهمه وتصريفه ، ويضر اذا خلص الى الجهلاء أو خلص اليه الجهلاء الذين لا يسيغونه ولا يعقلونه ، ولا يحسنون التمثل له والانتفاع به ·· شأنه فى ذلك شأن السلاح الخطر الذى لا يحسن استعماله الا من كان به خبيرا، وشأن العقاقير الخطرة التى لا ينبغى ان يخلى بينها وبين الذين لا علم لهم بالطب وطبائع الامزجة والاجسام · **وما رأيك لو أبيحت القنابل الذرية للناس جميعا ، وما رأيك لو أصبحت ألوان السـم الزعاف قريبة المتناول من أيدى الناس جميعا** · فالعلم أشد خطرا من القنابل الذرية لانه يبتكرها ، وهو أشد خطرا من السم الزعاف لانه ينشئه ويركبه ويقدر حظه من كل دواء ·

وقد لاحظت مصر فى هذه الاعوام الاخيرة ان قليلا من علم العلماء قد خلص الى جهل الجهلاء ، ففسدت لذلك أمور الناس وأخلاقهم وصلاتهم وأحكامهم على الاشياء وتصورهم للحياة · فشكا من لـم يألف الشكاة ، وسخط من لم يعرف السخط ، ورضى من لم يكن له حظ من رضا ، وأمن من لم يكن ينبغى له الامن ، وخاف من لم يكن للخوف اليه سبيل ·

ونظرت مصر فاذا أهلها ساخطون صاخبون قلقون مضطربون ، لا يرضون عن شىء ولا يرضى عنهم شىء ، قد عبسوا للحياة وعبست لهم الحياة ، حتى أنكرتهم شمسهم المشرقة ، وأنكروا هم شمسهـم المشرقة ، حتى ضاق بهم نيلهم الهادىء السمح ، وود لو تحول عن واديهم فشق مجراه فى الصحراء حتى لا يرى هذه الوجوه العابسة، وهذه النفوس المظلمة ، وهذه القلوب التى بعد عهدها بالاطمئنان ·

هنالك التمست مصر لهذه الآفات الطارئة أسبابها وبحثت عن مصادرها ، فلم تجد لها سببا ولا مصدرا الا هذه المعرفة التى تنسل من الجامعات ومعاهد العلم .. فتلم بالاندية والدور ، وقد تتسكع فى الشوارع والحقول ، فتصادف عقولا خلقت للجهل والغفلة ، وقلوبا خلقت للجمود والهمود ، فتفسد على الناس أمورهم كلها . وليس أحب الى مصر من أن يكون أهلها علماء ، ولكن الحرية والعلم من هذه الاشياء الخطرة التى لا ينبغى ان تعطى للناس بغير حساب ، وانما يجب أن تقطر لهم تقطيرا وتقدر لهم تقديرا ، ويقتر عليهم فيها تقتيرا . **من أجل ذلك ، ومن أجل ذلك وحده ، آثرت مصر سلامة أبنائها من أن يسرفوا على أنفسهم فى العلم ، وما يستتبع من الحرية وتنبه الشعور، فندبت شرطتها وجيشها لحمايتهم من هذا الخطب الملم والوباء المبيد.**

لهذا ، ولهذا وحده ، ضرب حول الجامعات ومعاهد العلم بهذه الاسوار الكثاف الصفاق من قوة الشرطة والجند حماية للجاهلين من علم العلماء ، وحماية للعالمين من جهل الجهلاء ، فمخالطة الجهلاء خطر على المتعلمين ، ومخالطة العلماء خطر على الجاهلين ، والدولة الرشيدة الحازمة خليقة أن تفرق بين أولئك وهؤلاء ، وألا تصل بينهم الاسباب الا بمقدار .

وقد لاحظت مصر ان هذه القصة ستثير مشكلة من أشد المشكلات عنفا وأعظمها تعقيدا ، فشرطتها محدودة، وجيشها معدود قليل العدد، وهما لا يكفيان لحماية الناس من علم العلماء وعدوان المعتدين ، وانما يكفيان لحمايتهم من أحد هذين الشرين لا منهما جميعا . ففكرت ، وقدرت ، ودبرت ، ورأت ان شر العلم أشد خطرا من شر العدوان ، فالمجرم الواحد أو المجرمون الكثيرون يصيبون الشخص الواحد أو الاشخاص فى الاماكن النائية والمواطن المتباعدة على حين تفسد القطرة الضئيلة من العلم والمعرفة عقولا وقلوبا كثيرة لا يبلغها العدد . من أجل ذلك نقلت اليك الصحف ، وقال لك القائلون ، ان أمور الامن تضطرب فى مصر بين حين وحين ، فيصرع هنا قاض ، ويخطف هنا معلم وتسرق دار فى هذه المدينة أو تلك ، وتقع موقعة فى قرية من

قرى الشمال أو من قرى الجنوب .. لا ينشأ هذا عن تقصير من أولى الامر ، ولا عن تفريط فى جنب الامن ، وانما ينشأ هذا عن موازنة بين ألوان الشر ، واختيار لاخف الضررين ، واذعان لاحكام الضرورات الملجئة، والناس ساخطون دائما ناقدون دائما ، تطول ألسنتهم فتسرف فى الطول ، وتجمح أقلامهم فتغلو فى الجموح ، وتحميهم الدولة من العدوان فيشكون من انتشار العلم ، وتحميهم الدولة من انتشار العلم فيشكون من انتشار الاجرام ، وينسون قول الشاعر القديم :

اذا لم يكن الا الاسنة مركبا فلا رأى للمضطر الا ركوبها

هذه ياسيدى هى بعض الانباء الصحائح التى أشار اليها أبو العلاء، وما أكثر الانباء الصحائح في هذه الايام ، وما أقل فهم الناس لها وتعمقهم لحقائقها ، وما أجدرنى بأن أحدثك بألوان منها ، لتعلم أين نحن وأين أنت ، ولتوازن بين حياتك المطردة وحياتنا المضطربة.

ولكن اعلم أنك لا تريد أن توازن ولا أن تقيس على أن تعرف من أمرنا شيئا ، وما أنت وحياتنا هذه الخصبة التى تتعب وتشق لكثرة مافيها من الخصب الذى يغزو القلوب والعقول . ألم تحدثنى فى آخر كتبك الى بأنك تؤثر نعمة الجهل على شقاء العقل .. فانعم بجهلك حيث أنت ، ودع لنا مانحن فيه ، وتقبل تحية كلها رثاء لك واشفاق عليك .

كتب للجميع
اتجاهات صحفية حديثة

اخوان الصفاء

لم أضق بكتابك حين تلقيته ولا حين قرأته ، لانى تعودت فى هذه الاعوام الاخيرة أن أتلقى أمثاله فى غير ضيق ، وأن أقرأها فى غير ملل ، وأن أنشد بعد قراءتها قول أبى العلاء رحمه الله :

واذا أضاعتنى الخطوب فلن أرى
لوداد اخوان الصفاء مضـــيعا
خاللت توديع الاصــادق للنوى
فمتى أودع خـــلى التوديعـــا

ولا يثقل عليك هذا البيت الثانى وما فيه من تكلف ، فلا بد من أن تقبل الشعراء على علاتهم · وعلة أبى العلاء انه عاش فى عصر تكلف وتصنع ، فلم يكن له بد من أن يتكلف ويتصنع · وقد أراد أن يذكر كثرة توديعه للاصدقاء وضيقه بفراقهم ، وأن يتمنى على الدهر ، لو أن الدهر يستجيب لمن يتمنى عليه ، أن يريحه من الوداع وما يثير فى القلب من الحزن والاسى، وما يغمر النفس به من اللوعة والاكتئاب، فسلك الى معناه القريب طريقه هذه البعيدة ، وزعم ان توديع الاصدقاء قد أصبح له صديقا بغيضا ود لو يخلص من صداقته وعشرته ·

فاقبل لفظ أبى العلاء كما تيسر له وكما نقل اليك ، وقف عنـد معناه فانه خليق أن تقف عنده ، لانه يصور نفسا كريمة ، وقلبـا ذكيا ، وضميرا وفيا ، وحرصا أشد الحرص على الوفاء · وهو على ذلك يصور ذات نفسك وذات نفسى فى شىء من القصور لا من التقصير فكلانا حريص مهما تضعه الخطوب على ألا يضيع ود الاصدقاء ، وكلانا يجد فى استبقاء المودة والاحتفاظ بالاخاء راحة وروحا ، ولذة ومتاعا ، ولكن كلينا ممتحن ، لا بكثرة التوديع للاصدقاء للنوى ، ولكن بكثرة التوديع للاصدقاء للموت ، أو للقطيعة التى هى شر من الموت · **فأنت**

لا تفقد صديقك الذى يستأثر به الموت من دونك « أو قل انك لا تفقده كله ، وانما تفقد محضره ، وتحرم لقاءه ، وتبقى لك منه ذكرى فيها كثير من حسرة وأسى ، ولكن فيهـــا كثيرا من دعة النفس ورضى القلب ، وراحة البال · تحزن لانك لا تلقاه ولا تنعم بعشرته ، وترضى لانك تذكر صفاء مودته وصدق اخائه ، وانه قد وفى لك وانك وفيت له ، وانه قد فارقك راضيا عنك وانك قد فارقته راضيا عنه ، فتجد فى هذا الشعور شيئا من عزاء ، وتضيف هذه الذكرى الى هذا الكنز النفيس الذى يغنى به قلبك ، وتنعم به نفسك ، وتستريح اليه كلما ضاقت بك الدنيا أو كربتك الخطوب ·

فأما القطيعة فانها لا تترك فى قلبك الا الحسرة الخالصة واللوعة المصفاة · وويل للقلوب من الحسرة الخالصة ، فانها تلتهم الحياة كما تلتهم النار الحطب · وويل للنفوس من اللوعة المصفاة ، فانها أفتك بها من السم الزعاف ·

وأنت تشكو الى تنكر فلان لك وازوراره عنك وتأليبه عليك · وماذا تريد أن أصنع وقد تنكر لى قبل أن يتنكر لك ، وازور عنى قبل أن يزور عنك ، وألب على قبل أن يؤلب عليك · وهلا سرت فيه سيرتى ولقيت قطيعته كما لقيتها ؟ فانى لم أشك اليك ولم أشك الى أحد من تنكره وتنمره وازوراره ، وانما طويت عن هذا كله كشحا ، وضربت عنه صفحا ، وأضفته الى هذه المحن التى يمتحن الناس بها فى هذه الايام ، والتى لا حاجة الى احصائها لانها أكثر من الاحصاء ، ولا الى التفكير فيها لانها قد كثرت وكثرت حتى أصبحت أهون من أن نفكر فيها أو نقف عندها أو نضيع فى استعراضها ما بقى لنا من الوقت والجهد والنشاط · **فأقبل على الناس ما أقبلوا عليك ، وأعـرض ما أعرضوا عنك ، وامنحهم من قلبك صفوه وعفوه · لا تضمر لهم كيدا ولا تبغهم شرا ، و لاتدخر عليهم موجدة ، وأرح نفسك وأرحنى** ، وأرح الناس من شكوى الزمان ، والتبرم بالاخوان ، والحزن لقطيعـــة الصديق ، والاسى لغدر الخليل · والق عن نفســـك هذه الفكرة الخاطئة ، فان الزمان لم يتغير وان طبيعة الناس لم تتبدل ، وليس

الزمان الذى تعيش فيه بشر من الزمان الذى عاش فيه أسلافك، وليس الجيل الذى تعاشره بشر من الجيل الذى عاشره الآباء والاجداد . فالشمس تجرى لمستقر لها منذ كانت الشمس ، والنهار والليل يستبقان منذ كان الليل والنهار ، والانسان هلوع منذ كان الانسان ، يجزع ان مسه الشر ، ويجزع ان ظن أن قد يمسه الشر ، ويبخل ان مسه الخير ، ويهيىء نفسه للبخل ان ظن أن قد يمسه الخير .

وصاحبك هذا الذى جفاك بعد صفاء ، ونبا جانبه بك بعد لين : هلوع كغيره من الناس ، أشفق أن تجر عليه مودتك شرا فاتقاه بسد الذرائع كما يقول الفقهاء ، وخاف على ما فى يده من الخير أن ينقصه اتصاله بك فاستبقاه بقطيعته لك وابتغى منه المزيد . ففيم تلومه وقد جرى مع طبعه وأرسل نفسه على سجيتها . فاتقى الشر ما وجد الى اتقائه وسيلة ، وابتغى الخير ما وجد الى ابتغائه سبيلا ؟!

***

وحضارة الناس متكلفة ، كانت بعد ان لم تكن ، واستحدثت شيئا فشيئا بعد أن عاش الناس دهرا لا حظ لهم منها ولا سهم لهم فيها . فليس غريبا أن تغلبها الغرائز بين حين وحين ، وليس غريبا ألا تثبت لقوة الطبع ، وسجية النفس ، وحب الحياة ، والتماس المنافع واستبقائها .

والصداقة أثر من آثار هذه الحضارة المتكلفة المكتسبة . فهى تجرى على وتيرتها وتسلك طريقها ، وتتأثر بما تتأثر به من الخطوب والاحداث .

وأنت ترى الخوف يخرج الناس عن أطوارهم ، ويذهلهم عن أقدارهم وينسيهم ما يحسن وما لا يحسن، ويخفى عليهم ما يجمل وما لا يجمل، ويلبس عليهم ما يليق بما لا يليق . والقوانين المشروعة تغفر لهم ما يدفعهم اليه الهلع والفزع من المآثم والموبقات . وقد هلع صاحبك حين رأى الامر الى من لا يحبك ولا يدانيك ، فمال مع الريح ، وانعطف مع المنفعة ، وآثر نفسه بالخير ، وضحى بالود القديم ، فاغفر له واصفح عنه ، ولا تضع نفسك فى موضعه ، ولا تقل انك قد امتحنت

بمثل محنته فوفيت للصديق وضننت بالاخاء ، فليس كل الشجر يثبت للريح العاصفة ، وانما يثبت لها الشجر الضخم الذى رسخت أصوله فى الارض وارتفعت فروعه فى السماء • فقل انك شجرة تثبت للريح وان صاحبك هذا نجم يميل معها كل مميل •

ولا تقل أن الناس يخطئون حين يسرفون فى الصداقة ، ومن حقهم أن يبخلوا بها ، ويبذرون المودة ، ومن حقهم أن يحرصوا عليها ويقتصدوا فيها ، لان حياتهم قصيرة والصديق الوفى نادر قليل • فكل هذه خواطر وآراء لا تخطر الا للذين تأصلت فى نفوسهم الحضارة، ورسخت فى قلوبهم المودة ، كما رسخت فى الراحتين الاصابع على ما يقول قيس بن ذريح • وهؤلاء هم الصفوة القليلة التى لم تخلق لتشيع وتكثر ، وانما خلقت لتقل وتدخر ، وتكون مضربا للمثل ، وموضوعا لاحاديث الكتب ، ومسرحا لخيال الشعراء •

***

وأنت قد قرأت الكتب ، ورويت الاخبار ، ووعيت الآثار ، وحفظت الحكم النادرة والامثال السائرة ، وعلمت فيما علمت أن من حماقة الناس أن يبخلوا بالمال ومن حقه أن ينفق فى وجوهه بغير حساب ، وأن يسرفوا فى الصداقة ومن حقها أن يبخل بها أصحابها أشد البخل وأعظمه وأقساه ، لان المال غاد ورائح يذهب عنهم اليوم وقد يعود اليهم غدا ، لان الصداقة ليس من طبيعتها الغدو والرواح ولا المجىء والذهاب ، وانما طبيعتها الثبات والاستقرار • فاذا رأيت من يبخل بالمال حين يجب انفاقه ، فاعلم انه أحمق سفيه ، وامنحه من نفسك ازدراءها فى غير هوادة ولا رفق • واذا رأيت من يسرف فى الصداقة ويبذرها تبذيرا ، فاعلم انه شرير من اخوان الشياطين ، وامنحه من نفسك مقتها وغضبها فى غير مهل ولا اناة • وارفع نفسك على كل حال عن الاحتفال بمن يبخل بالمال ، والالتفات الى من يسرف فى الصداقة ، وكلهما جميعا الى غرائزهما الجامحة وطبائعهما المنحرفة ، لا تقدر لهما قدرا ولا ترج لهما وقارا ولا تحسب لهما حسابا ، ولا تكلف نفسك فى سبيلهما حزنا ولا ألما ولا عناء ، فهما أهون من ذلك وأقل شأنا •

أما بعد ، فقد تلقيت كتابك وأنا أنعم بحياة راضية لا لغو فيها ولا تأثيم ، قوامها القراءة ومعاشرة هؤلاء الاصدقاء الذين لا يملون ولا يثيرون فى أنفسنا الملل ٠٠ الذين يستجيبون لنا اذا دعوناهم ، ويمنحوننا الروح اذا استرحنا اليهم ٠ لا يمنون ، ولا يتجنون ، ولا يتكلفون المعاذير ، ولا يتلمسون العلل ، وانما يستجيبون لنا هونا حين ندعوهم ، ويناون عنا هونا حين ننصرف عنهم ، لا يتعللون ولا يتعتبون ولا يتكذبون ولا يفسدون علينا الحياة بالمكر والكيد والرياء والنفاق ، يظهروننا على ذات نفوسهم فى أصرح الصراحة وأصـــدق الصدق وأوفى الوفاء ٠

أتعرفهم ؟ انهم اخوان الصفاء حقا ، انهم جديرون بأن نمنحهم ودنا فى غير تحفظ ، ونخلص لهم حبنا فى غير اقتصاد ٠ فلن نجنى من ذلك الا خيرا ٠ انهم الكتب ياسيد ! الكتب التى يكتبها الناس على اختلاف طبائعهم ، وتفاوت حظوظهم من نقاء القلوب ، وصفاء الطباع ، واعتدال الامزجة ، وطهارة الضمائر ٠

أليس عجيبا انك تقرأ الكتاب فتجد فيه غذاء قلبك وعقلك وذوقك؟؟ تجد هذا كله صفوا لا يكدره مكدر ولا يشوبه شائب ، فاذا بحثت عن كاتبه فعسى أن تعرف أنه كان أنكد الناس حياة ، وأكدرهم طبعا ، وأسوأهم مزاجا ٠ فاعجب للخير المحض يستخلص من الشر المحض ، وللنقاء النقى يستخلص من الدنس الدنس ٠ صـــدقنى اذا ضقت بالناس فتعز عنهم بما يكتب الناس ، واحمد لهم بعد هذا كله انهم يسيئون كثيرا ولكن بينهم قوما يحسنون كثيرا ، وانهم يجرحـون القلوب ولكن بينهم قوما يأسون الجراح ٠

فاعرف لهم ذلك واغفر لمسيئهم شكرا لمحسنهم ، واقبلهم آخر الامر على علاتهم ، واذكر دائما قول أبى العلاء :

وهل يأبق الانسان من ملك ربه
فيخرج من أرض له وسماء ؟ !

الدكتور

المجلة الشهرية
للثقافة الصحية

الدكتور
دائما
في خدمة الجميع

رسالة السراب

لو استمعت لنفسك ولى ، لم تشق بما أنت فيه الآن من ألم لاذع ، وحزن مر ، وهم ثقيل ، وعناء طويل ، ولكنك أعرضت عن نفسك ، واعرضت عنى ، واستمعت لدعاة السوء ، فأرهقوك من أمرك عسرا ، وحملوك من أعباء الحياة ما لا تطيق ٠٠ والناس يجربون وينتفعون بالتجربة ، حين يستقبلون الحياة ، صبية أو شبابا أو كهولا٠٠ فأما حين يتقدم بهم السن ، وتلم بهم الشيخوخة ، ويسرع اليهم الفناء ، ويأخذون فى الانحدار بعد أن أتموا حظهم من التصعيد ، فان التجربة لا تعود عليهم الا بما يملأ النفوس كمدا ، والقلوب يأسا وأسى ٠٠

ذلك لانهم لا يستطيعون أن يستقبلوا من أمرهم ما استدبروا ، ولا أن يصلحوا من سيرتهم ما أفسدوا ، ولا أن يجددوا من حالاتهم ما أبلوا ، تضيق عن ذلك حياتهم المتقـــاصرة ، وتعجز عن ذلك هممهم المتفانية ، فيستقبلون حياة شاحبة ممتقعة، تأخذها الحسرات من جميع أطرافها حتى اذا أقبلت تلك الساعات القصار ، التى يودع الناس فيها حياتهم ، وتعرض عليهم فيها أعمالهم ، رأوا خيرا كثيرا قد ألغوه الغاء، وألقوه القاء وانسلوا منه كما تنسل الشعرة من العجين ، وشرا كثيرا قد تهالكوا عليه ، كما يتهالك الذباب على العسل ، ويساقط فيه كما يساقط الفراش فى النار ٠٠ فندموا حين لا ينفع الندم عنهم شيئا، وأسفوا حين لا يتيح لهم الاسف رجوعا الى الخير ولا خلوصا من الشر ، ولا استدراكا لما فات ، واستقبلوا موتا مظلما ، يخرجون اليه من حياة مظلمة ، ولو قد استمعوا لانفسهم ووفوا لضمائرهم ، وأصغوا

لاصدقائهم الذين محضوهم وأخلصوا لهم النصح ، لكانوا خليقين ان يستقبلوا موتا مشرقا مريحا ، يخرجون اليه من حياة مشرقة مريحة ، ولكن صوت المنفعة ، ودعاء الغرور أسرع الى بعض القلوب من صوت المودة ودعاء الوفاء للنفس والصديق جميعا ..

دع ما أنت فيه الآن من حزن وألم ، ومن حسرات وزفرات ، ومن هم وأسى ، واستقبل من أمرك ما استدبرت فى الخيال ساعة أو بعض ساعة ، وأنظر الى نفسك فى أيام الصبا والشباب فسترى حياة ساذجة حلوة لم تلق فيها منك شرا ، كنت مسلما بالمعنى الذى بينه الحديث الشريف لانك اسلمت الناس من لسانك ويدك ، واسلمتهم من قلبك وضميرك أيضا ، فلم تسىء بهم الظن ، ولم تضمر عليهم الحقد ، ولم تدبر لهم الكيد .. كنت وديعا كل الوداعة ، سمحا كل السماحة يسيرا كل اليسر ، فجرت أمورك مع الناس ، وجرت أمور الناس معك ، على هذه الخصال - لم تلق منهم ولم يلقوا منك الا خيرا . وأحبك الاصدقاء حبا صفوا لا تشوبه ريبة ، ولا يكدره شك ، ولا يبلغه سوء الظن ، حتى امتزج قلبك بقلوبهم، وضميرك بضمائرهم، فكنت تشاركهم ويشاركونك فى الحس والشعور .. وكنت تشاركهم ويشاركونك فى تقدير الاشياء والاحياء ، وفى الحكم على الاشياء والاحياء ، كانوا يقرأون فى قلبك وكنت تقرأ فى قلوبهم ، قد ألغيت بينك وبينهم الحجب ، وألقيت من بينك وبينهم الاستار ... كنت تعيش معهم وكانوا يعيشون معك، فى الارض وكأنما كنت تعيش معهم وكأنما كانوا يعيشون معك فى السماء ، كنت تلقاهم ، وكانوا يلقونك ، فتنعمون جميعا بهذا اللقاء الصفو ، وكنت تفارقهم وكانوا يفارقونك فلا تجدون لهذا الفراق ألما ولا حزنا ، لانك كنت تستبقيهم فى قلبك ، وتناجيهم حين تخلو الى نفسك ، ولانهم كانوا يستبقونك فى قلوبهم ، ويناجونك حين يخلون الى أنفسهم .

وكذلك أنفقت الصبا والشباب ، وكذلك أنفقوا الصبا والشباب ، ثم أقبلت وأقبلوا على سن الشيوخ ، فمضيت ومضوا فى هذه الطريق المستقيمة ، المشرقة السهلة ، التى لا عوج فيها ولا أمت ، ولا انحراف

فيها ولا التواء ، ولكن الاقدار كانت قد أرصدت لك فى هذه الطريق شيطانا من شياطين الجن ، تنكر لك فى شعاع من أشعة النور التى كانت ،تغمر هذه الطريق ، أو فى نفحة من نفحات النسيم التى كانت تترقرق فى ذلك الجو ، أو فى نبرة من نبرات الطير التى كانت تتغنى على تلك الغصون فنفذ الى ضميرك من طريق العين ، أو من طريق الانف ، أو من طريق الاذن لا أدرى ، ولكنه لم يكد يبلغ ضميرك ، حتى استقر فيه، ولم يكد يستقر فيه حتى استأثر به، ولم يكد يستأثر به حتى غير حياتك كلها تغييرا ٠٠ فاذا أنت تنحرف عن طريقك المستقيمة ، الى طرق أخرى ملتوية متشعبة ، واذا أنت تؤثر الظلمة على النور ، وتستحب الهواء الخانق على النسيم الطلق ، وتفضل فحيح الحيات على غناء الطير ٠٠

وأنت تسعى الى المنافع والمنافع تسعى اليك ، وأنت تصعد الى السلطان والسلطان يهبط اليك ، وقد امتدت لك أسباب الغرور ، وكثرت أمامك طرق الفتنة ومروجها الخضرة النضرة ، التى تخدع العيون ولا تغنى عن القلوب والضمائر شيئا ٠ واذا أنت تمضى أمامك، وترجع أدراجك ، وتنحرف الى يمين ، وتنحرف الى شمال ، ترتع هنا وهناك، ومن حولك رفاق السوء ينحرفون كما تنحرف، وينعطفون كما تنعطف ، يقضمون كما تقضم ويقطفون كما تقطف ، ويجتنون كما تجتنى ، ويلتهمون كما تلتهم ٠٠

وأنتم كذلك لاهون ساهون قد غركم بالله وبأنفسكم الغرور ،

واذا أنت ثائب الى نفسك تسألها أين هى ٠٠٠؟ ومتى ذهبت عنك ٠ ؟ ومتى عادت اليك ٠٠ ؟ واذا أنت تتلو ، ولكن بعد فوات الوقت قول الله عز وجل : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، ووجد الله عنده ، فوفاه حسابه والله سريع الحساب »

وزارة الصحة العمومية

تقبل العطاءات بـادارة مخازنـها بالعباسية بمصر لغاية الساعـة العاشرة تماما من صباح الايام المحددة قرين كـل مناقصة للسنة المالية ١٩٥٤/٥٣ :

الحدايد المشغولة - ١٩٥٣/١٠/٢٤ ٢٥٠ مليما

قش الارز - ١٩٥٣/١٠/٢٥ ١٠٠ مليم

صناديق العبوة - ١٩٥٣/١٠/٢٦

الاوانى النحاسية - ١٩٥٣/١٠/٢٧ ١٥٠

وابورات الغاز وأجزائها - ١٩٥٣/١١/٢ ١٥٠

وتصرف قوائم هذه المناقصات مـن ادارة المخازن المذكورة بالثمن المحـدد أمام كل مناقصة بموجب طلب على ورقة تمغة فئة خمسين مليما للنسخة الواحدة بخلاف أجرة البريد . ٥٥٥١

وزارة المعارف العمومية
منطقة كفر الشيخ التعليمية

اعلان مناقصة توريد الاغذية

تشهر منطقة كفر الشيخ التعليمية عن المناقصة الاولى لتوريد الاغذية اللازمـة لتلاميذ وتلميذات مدارسها المختلفـة ومراكز التموين بها عن العام الدراسى ١٩٥٤/١٩٥٣

فعلى من يرغـب الدخول فى هـذه المناقصات أن يقدم عطاء باسم السيـد مراقب عام المنطقة على أن يكون مظروف العطاء مختوما بالجمع الاحمر ثم يوضح داخل مظروف اخر مسجل يكتب عليه اسم مقدم العطاء ونوعه ويرفق بكل عطاء تأمين ابتدائى وفقا للشروط وكل عطاء غير مصحوب بمقدار التأمين المؤقـت جميعه ورقم السجل التجارى وباقـى البيانات اللازمة الموضحة بالشروط لا يلتفت اليه .

ويمكن الحصول على شروط العـطاء وكشوف المدارس والمراكز من المنطقـة وثمن النسخة الواحدة ١٠٠ مليم تطلب على ورقة تمغة من فئة الخمسين مليما ويضاف الى ذلك ١٠٠ مليم لمن يطلبها بالبريد ، والعطاءات التى تقدم باليـد تسلم لقلم القيد بالمنطقة بالايصال اللازم ويراعى تقديم العطاءات قبل انتهاء الميعاد المحدد .

وستفتح العطاءات فى تمام الساعـة الثانية عشر من ظهر يوم السبت الموافق ١٩٥٣/١٠/٣ والعطاءات التى ترد بعد هذا الموعد لا يلتفت اليها وتعتبر لاغية وللمنطقة الحق فى قبول أو رد أى عطاء بدون ابداء الاسباب ٥٥٥٨

منطقة بنها التعليمية
قلم التغذية

اعلان المناقصة الثانية

تقبل العطاءات لتوريد الاغذية لمدارس ومراكز التموين والمدارس التابعة لهما عن العام الدراسى ١٩٥٤/١٩٥٣ واخر موعد لقبول العطاءات الساعة الثانيـة عشر من ظهر يوم الاثنين ١٩٥٣/١٠/٥

فعلى من يرغـب الدخول فى هـذه المناقصة أن يقدم طلبا على ورقة مدموغة من فئة الخمسين مليما للحصول علـى كراسة شروط توريد الاغذية المرفق بها كشوف المدارس والمراكز مقابل دفـع الثمن المقرر . ويراعى أن يكون مظروف العطاء مختوما بالشمع الاحمر ثم يوضع داخل مظروف اخر ويكتب علـيه نوع العطاء واسم مقدمه ويرسل باسم السيد مراقب عام المنطقة على أن يرفق بكـل عطاء تأمين ابتدائى طبقا للشروط .

أما العطاءات التى تقدم باليد فتسلم الى رئيس قلم القيد والحفظ بالمنطقة بالايصال اللازم وذلك قبل الموعد المحدد والعطاءات التى ترد بعد الموعد المحدد بالاعلان تعتبر لاغيةوكل عطاء غير مصحوب بالتأمين المؤقت ورقم السجل التجارى وجميع ما تقدم من الشروط لا يلتفـت اليه وعلى من يرسو عليه العطاء دفـع التأمين النهائى فورا حسـب الشروط وللمنطقة الحق فى قبول أو رفـض أى عطاء دون ابداء الاسباب . ٥٥٦٣

السعداء يعرفون :

فضل

ڤسبا دى لوكس

VESPA
de luxe

سيارة صغيرة بعجلتين

وسيلة الانتقال المفضلة لدى الطبقة الراقية فى العالم .

رمز الرشاقة والخفة والسرعة والراحة والاقتصاد .. سهلة القيادة للغاية

استهلاك ٩٠ كم فى الصفيحة أى مايوازى ٨ مليمات لكل ١٠ كيلو مترات

لاتكلفك مصاريف جراج ولا تأمين ورسوم رخصتها ضئيلة جدا

قوة ٤½ حصان

تباع بتسهيلات فى الدفع

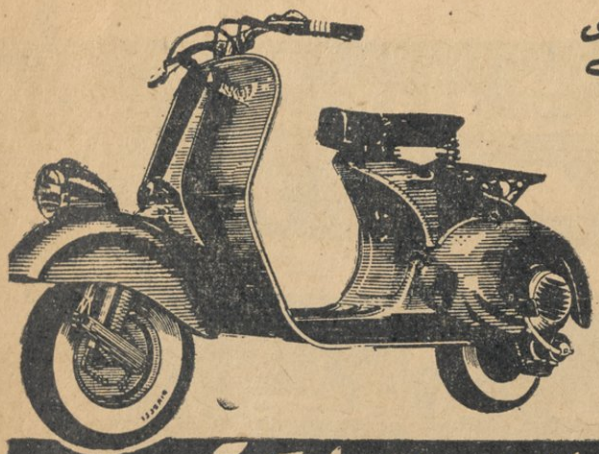

الوكلاء **شركة النيل الهندسية المتحدة** ش . م . م

القاهرة : ١٩ شارع هدى شعراوى (الشيخ حمزه سابقا) - ٥٨ شارع ابراهيم باشا ت ٧٧٥٩٥
بجوار محطة شل بالزمالك - ٥ شارع اسماعيل بمصر الجديدة
الاسكندرية : ٢٦ شارع سيدى متولى ت ٢٠١٢٩
الفروع : المنصورة . كفر الشيخ . دمنهور . طنطا . بنها . الزقازيق . الفيوم . بنى سويف . المنيا . اسيوط

اطارات شيت

- أكثر اتزانا
- أقوى احتمالا
- أقل ثمنا

شركة شيت للمطاط - تورينو - ايطاليا

الوكلاء **جايس وشركاه** القاهرة . الاسكندرية

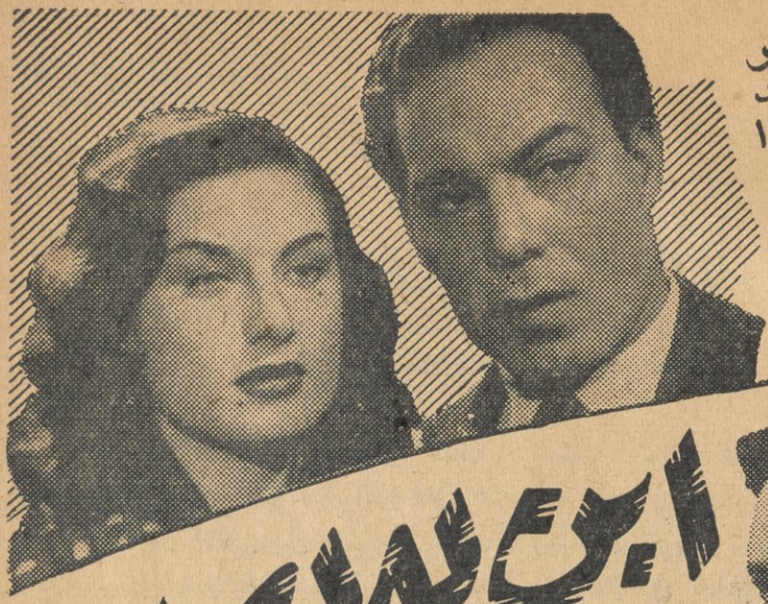

ستوديو مصر
يفتتح موسمه الجديد
لعام ١٩٥٣ - ١٩٥٤
فيهدى
الى العالم العربي
ابن للإيجار
فيلم ينقد عيوب المجتمع
بأسلوب طريف مرح ★ تستمتعون فيه بأروع
الأغانى العاطفية من
محمد فوزى
وبموهبة وجمال الفنانة
ليلى فوزى
مع باقة من أقدر كواكب السينما
حسن فائق
فريد شوقى
مارى منيب
زوزو شكيب
عزيز عثمان
وداد حمدى
تمثيل رائع ورقص ساحر من الفاتنة
تحية كاريوكا
تصوير : وحيد فريد
توزيع : ستوديو مصر
اخراج المخرج الذى مالفه النجاح
حلمى رفلة
وفى نفس البرنامج : عدسة ستوديو مصر تسجل زيارة الرئيس محمد نجيب ورجال الثورة للأراضى المقدسة وأداءهم مناسك الحج.
حاليا
بسينما ستوديو مصر بالقاهرة وسينما البلدية بدمنهور
والوطنية بالمحلة الكبرى ومن الاثنين القادم بسينما أمير بطنطا

اقرأ فى أول نوفمبر

طـريق الخطايا

للاســتاذ أمين يوسف غراب

مجموعة فاتنة من القصص العاطفية الملتهبة تكشف فى صراحة الفن وحريته عن أسرار العذارى وأنوثة المرأة وخفايا النساء . وتروى قصص الصراع الخفى الذى يدور فى كيان الانثى بين جبروت الجسد وسلطان الروح . وتكشف دنيا الغرائز الجنسية فى مباذلها الشهوانية وأمجادها الروحانية فى مغامراتها الشيـطانية ، وجهادها الملائكى . فى القصور والاكواخ ، فى المدن والارياف ، خلف الابواب المغلقة وفى عرض الطرقات العامة . وتستعرض الحب فى الوانه الحالكة الفاجرة ، والنورانية الطاهرة ، ومآسيه الدامية ، وافراحه البهية ، ودموعه الشجية ، وبسماته السعيدة . فى تحليل دقيق ، وعرض فتان ، وأسلوب مبدع ، بقلم الاستاذ المعروف امين يوسف غراب

كتب للجميع

كتب قيمة بقروش زهيدة

صاحبة الامتياز : شركة التوزيع المصرية شركة مساهمة مصرية للنشر وتوزيع الصحف

عضو مجلس الادارة المنتدب : السيد ابو النجا

رئيس التحرير المسئول : فائق الجوهرى

مدير الادارة : أمين عدلى

الاشتراكات { ٧٠ في السنة فى القطر المصرى والسودان
٩٠ فى الاقطار العربية والأخرى فى اتحاد البريد ١٢٠ فى الاقطار الأخرى

الادارة ٨ شارع ضريح سعد بالقاهرة . تليفون ٢٧٢٠٠

مطبعة شركة الاعلانات الشرقية

DATE DUE

23 SEP 1991

A/C
100
T25x

10000130357

DEC - 1976